إلى أخي وأختي

رسائل هادية إلى حياة طيبة

عبد الوهاب سليمان أوغلو

إلى

أخي و أختي

رسائل هادية إلى حياة طيبة

إلى

أخي وأختي

رسائل هادية إلى حياة طيبة

عبد الوهاب سليمان أوغلو

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أخي العزيز، أختي العزيزة!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية من عند الله مباركة طيبة.

أخاطبكم برابطة الأخوة الإنسانية التي تجمعنا، فالأسرة البشرية عائلة كبيرة، ينبغي أن تستشعر هذه الرابطة فيما بينها.

وأخاطبكم برابطة الإيمان والإسلام، تلك الرابطة الوثقى، والأخوة الخالدة الباقية؛ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فكل مسلم على هذه الأرض يستشعر هذه الرابطة بينه وبين كل من يشاركونه إيمانه بالله رباً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالإسلام ديناً.

فنحن نشعر معكم برابطة الإيمان التي تجمعنا، إذا دعونا الله استشعرنا أن إخواننا وأخواتنا يدعون ربنا الذي ندعوه، وإذا اشتقنا إلى نبينا محمد ﷺ الذي نؤمن به ونحبه استشعرنا أن إخواننا وأخواتنا يشاركوننا

الإيمان بهذا النبي ويحبونه كما نحبه، وإذا توجهنا إلى القبلة في صلاتنا استشعرنا أن إخواننا وأخواتنا يتوجهون إلى حيث نتوجه، ويصلون لله كما نصلي، فكل مسلم يشعر بعلاقة أخوّة بكل مسلم مهما كان وطنه وجنسه.

وحينما نهنئكم بالهداية للإسلام فإننا كذلك نهنئ أنفسنا بكم، ونهدي إليكم محبتنا وبعض ما تعلمناه من ديننا، وننتظر منكم أن تبادلونا هذا الحب، وأن تقع هذه الرسالة من نفوسكم موقعاً طيباً، وأن تكون بداية لمحبة عميقة وعلاقة وثيقة.

وهي رسائل مختصرة لبعض معالم الدين الهادية، والتي بمعرفتها تتضح رسالة الحياة، ويجد كل باحث عن المعنى معنىً لوجوده، ويخرج من متاهة.

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيتُ

ولقد أبصرت قُدَّامي طريقاً فمشيتُ

وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيتُ

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري! (١)

وسوف تتضح أمامه الرؤية، فيعرف طريقة ومسار حياته، ومهمته فيها، ووظيفته ومسؤوليته وإنجازه في عمره، وتُكشف له أستار الغيب عمّا

(١) من قصيدة: «الطلاسم» لإيليا أبو ماضي.

بعد الحياة، ومصير الخلود الأبديّ، وإنما يجيب على أسئلة الحياة من وهب الحياة، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وعندما نأخذ إجابات تساؤلاتنا من الوحي الإلهي فإننا نمسك بالعروة الوثقى والحقيقة الصّادقة، ونعيش يقين الإيمان، وطِيب الحياة، وطمأنينة النفس في هذه الحياة العابرة، وفي الحياة الآخرة الخالدة، ونغادر هذه الحياة ونحن نتلقى نداء الله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧- ٣٠].

فمع هذه الرسائل الأخوية، مصحوبةً بمحبتي الصادقة، ودعواتي الخالصة.

أخوكم
عبد الوهاب سيلمان أوغلو
إسطنبول ـ باشاك شهير
١٠/ ٨/ ٢٠٢٣م

أولاً

إيماننا

حياةٌ طيبة

كم هي الحياة عابسةٌ وبائسة حين تكون مقفرة من الإيمان بالله، والصلة به، والتوجه إليه، والأُنس به!

إنها حياة كئيبة يعيش صاحبها غربةً مُوحِشةً، فلا علاقة له بالوجود قبله، ولا بالكون حوله، يعيش غربة عن بداية عمره قبل وجوده، وعن مصيره بعد موته؛ لا يعرف إلى أين يتجه، ولا إلى أين ينتهي؟! يشعر أن حياته ستنتهي كما تنتهي حياة حشرةٍ سحقتها قدم تسير في الطريق وهي لا تشعر.

تلك هي الحياة التي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]. إنه ضيقٌ في العيش مهما كانت حياته مرفهة، فهو في ضيقٍ نفسي، يتخبط في متاهةِ الحيرة، ويسير إلى غير اتجاه، وينتهي إلى مجهول، فأي ضنك وضيق لِـمَن كانت هذه نظرته وهذا إيمانه؟!

أمّا مَنْ أكرمه الله فأضاءت بصيرته بأنوار الإيمان، عَرفَ ربه وآمن به، وعمل له، وتوجه إليه، فإنّ أول هبات الله وعطاياه تصله في هذه الحياة، فيعيش حياة طيبة، فيها طمأنينة اليقين، وسكينة الرضا، ووضوح الطريق، يعلم من أين أتى؟ وإلى أين يسير؟ وأين سينتهي؟ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

إن الإيمان مع العمل الصالح جزاؤه حياةٌ طيبةٌ في هذه الأرض، ولا يُهِمّ أن تكون ناعمة رغيدة ثرية بالمال، فقد تكون به وقد لا يكون معها، ففي الحياة أشياء كثيرة غير كَثرةِ المالِ تطيبُ بها الحياة، فيها الاتصال بالله، والثقة به، والاطمئنان إلى رعايته وستره، فيها الصحة والهدوء، والرضا والبركة، فيها سكن البيوت، وموّدات القلوب، فيها الفرح بالعمل الصالح وآثارِه في الضمير وآثارِه في الحياة، وحين يستنير القلب بالإيمان يكتسب كلُّ شيءٍ فيها بهجةً ونضرةً ونعيماً، ويجد الإنسان مع القليل الرضا والبركة، كان نبينا ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «**الحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، وَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ**»[1]. إن هذا الامتنان العظيم لله يعلنه النبي ﷺ على نِعَمٍ معتادة متكررة في حياة كلٍّ منا، لقمة الطعام، ورشفة الشراب، وسكينة المأوى، ونعمة قلّ ما نتفطّن لها، وهي أنه كفانا، أيْ: صرف عنا أخطاراً وأمراضاً كنّا عُرضةً لها، فحفظنا وكفانا إياها، فأي نعيم ورضا هذا الذي يتجدد مع كلّ لقمة طعام، ورشفة

(١) «صحيح مسلم» (٢٧١٥).

ماء، وإغفاءة نوم، وسكينة سكن!، مع كل خفقة حب، وإحساسٍ بالصحة، وتنعّم بالكفاية والعافية، إن هذه النعم اكتسبت النعيم بها لعظمة الإيمان بأنّها نعم الله وعطاؤه وفضله، وهي أول هبات الله للمؤمنين في حياتهم الدنيا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

إنها الطمأنينة في الحياة فلا قلقَ، والسكينةُ فلا اضطرابَ، ولذا وصف الله نفوس المؤمنين بالطمأنينة، وهي طمأنينة متجددة تصحبهم في حياتهم وعند مماتهم وعند بعثهم، وعند دخولهم الجنة: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، إنها نفوس مطمئنة بإيمانها فلا تشك ولا ترتاب، ومطمئنة في طريقها فلا تنحرف، ومطمئنة في حياتها فلا تقلق ولا تجزع.

ثم تنادَى عند الموت بهذا النداء الرضيّ النديّ: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾. ربُّك الذي آمنت به في حياتك، وتوجهت إليه في صلاتك، آنَ لك أنْ ترجعي إليه راضية مرضية.

ولكِ البشرى أنّك مع عباده المرضيّين الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين، وأنك عنده في جنته.

وبالَعظمةِ الإيناس حينما يقول الرّب سبحانه: ﴿عِبَدِى﴾ و﴿جَنَّتِى﴾، فينسب العباد إليه، ويضيف الجنة إلى نفسه، ليُشعرهم بذلك أنهم في جنة الله وعنده وبقربه، كما قالت الصالحة امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، إنه ليس مجرد بيتٍ، ولكنه بيت عند الله.

هذا القرب من الله يعيشه المؤمن في الدنيا إيمانا ويقينا، ويعيشه في الآخرة حقيقةً وثواباً.

إنهم المقربون الأبرار..

جعلكم الله -أخي وأختي- منهم في دُنياكم وأُخراكم.

العلم بالله

عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَبَا الْمُنْذِرِ، أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله عَزَّوَجَلَّ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**». قلت: الله ورسوله أعلم، ثم قال: «**أَبَا الْمُنْذِرِ، أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله عَزَّوَجَلَّ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**». قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: فضرب في صدري، فقال: «**لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**»[(١)]. وهنا نتساءل ما الذي جعل هذا الصحابي يقصد هذه الآية بالذات ويعلم أنها أعظم آية في القرآن؟، لقد علموا أن العلم بالله أشرف العلم وأعظمه، وأن الآية هذه في تعظيم الله ووصف لكماله وقيّوميته وإحاطة علمه وعلوّه وعظمته عَزَّوَجَلَّ، فهي إذن أعظم آية في القرآن، واحتفى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بمعرفة أُبَيٍّ وعلمه فضرب على صدره مهنّئاً له بهذه البصيرة القرآنية، وهكذا كان الصحابة يقرأون القرآن ويتعرفون منه على الله بمحبة وتعظيم، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعث رجلا

(١) «صحيح مسلم» (٨١٠).

على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟**». فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ يُحِبُّهُ**»(١).

أخي وأختي، كم هي حاجتنا ماسّة أن نتَعرّف على الله، ربنا وخالِقنا الذي أوجدنا من العدم، وربّانا بالنعم، ثم سيكون إليه مصيرنا ومنتهى أمرنا: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]، فنتَعرّف على أسمائه وصفاته، ونتَعرّف على عظَمته وقدرته، ونتَعرّف على كرمه ورحمته، وكلما تَعرّفْنا على الله أكثر اقتربنا منه أكثر، وأحببناه أكثر.

ومن أعظم ما يعرفنا بالله قراءة ما وصف الله به نفسه في القرآن الكريم: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

و﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

(١) «صحيح البخاري» (٧٣٧٥)، و«صحيح مسلم» (٨١٣).

أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

و﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرٗا ﴾ [الإسراء: ١١١].

و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

ومما يزيدنا معرفة بالله التفكّر في مخلوقاته وآياته الكونية، والنظر إلى عظمة الخلق باعتبارٍ وتفكّر وكأنّنا نراها أوّل مرة، فننظر إلى السماء ومجراتها ونجومها وما فيها من عظمة وإبهار، وما في الأرض وجبالها وبحارها وأشجارها وحيواناتها من عجائب الخلق وبديع الصنع، ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

و﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وعندما نتعرف على الله فإنا سنحبه من كل قلوبنا.

نحبه لأوصاف الجلال والجمال والعظمة، وكمال قدرته وحكمته وعلمه، ورحمته التي وسعت كل شيء.

ونحب الله لعظيم فضله علينا، فهو الذي أوجدنا من العدم، وهو الذي كرمنا وفضلنا على كثير من خلقه؛ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وهو الذي سخر لنا عظيم مخلوقاته في هذا الكون؛ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

ونحب الله عَزَّوَجَلَّ لجميل إنعامه وكثرة نعمه؛ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [ابراهيم: ٣٤].

ومن أعظم نعمه علينا هدايتنا إليه، وقد ضل كثير من البشر، فـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ومن إنعامه علينا رزقنا، وصحتنا وكفايتنا، ولذا كان نبينا ﷺ إذا أكل طعاما قال: «**الحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ**»(١). وقال الله لنبيه ﷺ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، وأول من نُحدثه بنعمة ربنا أنفسنا، فنجدد تذكّر النعم، والامتنان لله على إنعامه علينا بها.

(١) «سنن أبي داود» (٣٨٥٠)، و«سنن الترمذي» (٣٤٥٧).

ونحب الله لرحمته الواسعة بنا، ومن رحمته كتابته للحسنات والسيئات، فمن عمل حسنة كتبها الله له عشر حسنات ثم ضاعفها أضعافا كثيرة، ومن عمل سيئة كتبها الله عليه سيئة واحدة، فإذا تاب واستغفر منها يمحوها ويبدلها حسنة.

وأننا إذا تبنا تاب علينا، وإذا استغفرناه غفر لنا، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، وأنه لن يبتدئنا بعقوبة ما دمنا مؤمنين به شاكرين لنعمه، ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، فما أعظم رحمته بنا، وأكثر نعمه علينا، وأوسع عفوه ومغفرته، وأكرم ثوابه وعطاءه!.

ولذا فإن المؤمنين بالله يحبونه أشد الحب: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وبالتفكر في نعم الله الغامرة المتتابعة علينا، تعظم محبة الله في قلب المؤمن، وشوقه إلى لقائه، وحسن ظنه بكرم ربه وفضله.

وبالعلم بالله تعظُم خشيته وإجلاله في قلب المؤمن، ولذا قال ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِالله، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**»[١].

(١) «صحيح البخاري» (٦١٠١)، و«صحيح مسلم» (٢٣٥٦).

وبالعلم بالله تعظم الثقة به والركون إليه كما قال يعقوب لبنيه: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]، قالها في أشد ساعات حزنه لما فقد ولدَيه يوسف وأخاه فقال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨٦ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٦-٨٧]، فلما كان يعلم من الله ما لا يعلمون رجا من الله ما لا يرجون، ولمّا تحقق ظنه بالله ووجد ولديه قال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦]، فالعلم بالله هو أعلى العلم وخيره وأنفعه، وهو مفتاح حبّه وتقواه ورجائه وخشيته، والتوكل عليه والركون إليه هو مفتاح كل خير.

العبادة لله وحده

لمّا حضر نبيُّ الله يعقوب إلى مصر رأى الوثنية وعبادة غير الله منتشرة فيها فلمّا حضرته الوفاة كان أكثر ما خاف على أبنائه وأحفاده أن يتسرّب إليهم هذا الانحراف الخطير، وهو عبادة غير الله، فسألهم وهو يوشك أن يغادر الحياة قائلاً: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي﴾؟ وأراد بذلك تأكيد الوصية عليهم بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ وأخذ ميثاقهم على ذلك، فقالوا له: ﴿نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، لقد كان يعقوب نبيّاً، وأبوه إسحاق نبيّاً، وجدّه إبراهيم نبيّاً، ومع تتابع الرسالات إليهم وكونهم جميعاً دعاةً إلى التوحيد والإسلام إلّا أنه خاف عند موته على بنيه من الانحراف عن رسالة الأنبياء، وذلك لانتشار الوثنية، فأعاد الوصية وأخذ العهد على التوحيد وذلك في أحرج لحظات الحياة، وهي لحظة الوفاة، فلم يكن شيء في تلك الساعة أهم عنده من توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وإفراده بالعبادة ولا أعظم شأناً.

إن الوثنية وعبادة غير الله هي أعظم حماقة ارتكبتها البشرية وظلّت تتكرّر في تاريخها وتتنقل بين أجيالها.

ولذا تتابعت رسالات الرسل تصحح هذا الانحراف وتوجّه البشرية إلى التوجه بالعبادة إلى الله وحده، دون واسطةِ أحدٍ مِن خَلْقه، وأنّ شعائر العبادات لا تؤدَى إلا لله وحده، فكانت مهمة الرسل جميعاً هي إرشاد البشرية إلى التوجه بالعبادة إلى الله وحده لا شريك له، فلا يَعْبُدوا الأصنام ولا الكواكب، ولا الرسلَ والأنبياء والصّالحين، فكلّ هؤلاء مخلوقون لله وليسوا شركاء له، ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩]، وكان نداء كل نبي إلى قومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وجاءت آيات القرآن تكشف زيف الوثنية، وتبطل تعدّد الآلهة، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فليس هناك إله مع الله يُعبد، وليس هناك واسطة بين الله وخَلْقه. فالله عَزَّوَجَلَّ قريب من عباده حين يعبدونه، قال ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ**»[1].

(١) «صحيح مسلم» (٤٨٢).

والله قريب من عباده حين يدعونه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وحذّر الله البشرية غاية التحذير من الإشراك معه في العبادة واتخاذ آلهة معه، وبيّن أن هذا الذنب الأكبر الذي لا يُغفر، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، إنّ شناعة عبادة غير الله تتّضح حين نعلم أن فيها مساواة غير الله بالله، فكيف يسوّى بين الخالق والمخلوق، وبين الخالق العظيم الجليل والمخلوق الضعيف؟! وسوف يكتشف هؤلاء المشركون زيف هذه التسوية وضلالها يوم القيامة حين يجتمعون مع آلهتهم في النار، قال تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ٩٦ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٩٨ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٦-٩٩].

إنّ المسلم والمسلمة يَعبدان ربهما كما كان إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يعبدونه، ويتوجهون إليه مباشرة بلا وسائط، فهو القريب المجيب عَزَّوَجَلَّ.

ويَعلم المسلم والمسلمة أنّ أعظم ما يميزه في إسلامه أنَّه يتعامل مع الله مباشرة، فإذا دعا دعا الله وحده، وإذا استغفر استغفر اللهَ ربه، وإذا صلى صلى لله وحده؛ فيستشعر أنّ الله قريب منه غاية القرب، مطّلعٌ على ما في قلبه، وأنه معه حيثما كان: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

رسل الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

من رحمة الله بعباده وإكرامه لهم أن أرسل إليهم رسله طوال فترات التاريخ المتعاقبة؛ ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: ٢٤].

وتتابعت رسالات الرسل متفقة على دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وإن تنوعت شرائعهم بما يناسب كل أمة وكل مرحلة تاريخية، وكان بعضهم يصدق بعضاً.

ثم ختم الله رسالات الرسل برسالة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والذي دعا إلى ما دعا إليه الرسل قبله: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

ودعانا إلى الإيمان بجميع الرسل قبله، ومحبتهم والإيمان بكتبهم وما جاؤوا به.

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥].

ولذا فنحن نؤمن برسل الله جميعاً، ونحبهم جميعاً، ونعتقد أنهم إخوة لنبينا محمد ﷺ، وأنه جاء مصدقاً لرسالاتهم ومتمماً لها.

وجاء القرآن بقصصهم تصديقاً لرسالاتهم، واعتباراً بأخبارهم، وتثبيتاً لرسول الله ﷺ الذي دعا بدعوتهم ليصبر مثل صبرهم: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وتكرر ذكرهم في القرآن فجاء ذكر نوح (٤٣) مرة، وذكر إبراهيم (٦٩) مرة، وذكر موسى (١٣٦) مرة، وذكر عيسى (٢٥) مرة، ولم تذكر امرأة في القرآن أكثر من ذكر مريم العذراء، وسميت سورة كاملة باسمها.

فالإيمان برسالة محمد ﷺ إيمان برسالات الأنبياء قبله، ومحبة محمد ﷺ محبة لرسل الله جميعاً.

محبة الرسول ﷺ

إنّ محبة النبي ﷺ من أهمِّ أُسس الإيمان به، ومَن لم يُحب النبي ﷺ فهو لم يؤمن به حقيقةً، قال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ**»(١).

وإن من لوازم هذه المحبة اتباعه وطاعته، والشوق إليه، والصلاة عليه.

ونحن نحب نبينا محمداً ﷺ:

- لأن الله يحبه.

- ونحبه لكماله وفضله.

- ونحبه لعظيم معروفه علينا، وإحسانه إلينا بتبليغ الإسلام، فقد بلّغنا الإسلام أعظم بلاغ، وبينه أوضح بيان، ولم يلحق بالرفيق الأعلى حتى استشهدَ الخلقَ أنه قد بلغهم رسالات ربهم جميعاً فقال للناس

(١) «صحيح البخاري» (١٤).

في حجة الوداع: «**أَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟**» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: «**اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ**»[(١)].

- ونحبه لعلمنا بحبه ﷺ لأُمّته، كما قال الله عنه: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

- ونحبه لأنه يحبنا، فقد عاش ﷺ متشوِّقاً لرؤية أجيالِ أمته القادمة، الذين لم يدركهم في زمنه، ويقول لأصحابه: «**وَدِدْتُ أَنَّا رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**»، قالوا: ألسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي، إِخْوَانِي الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**»[(٢)].

- ونحبه لأنه أذَابَ نفسه همّاً واهتماماً مِن أجْلنا، حتى كاد أن يَهلك حسراتٍ على مَن لم يؤمنوا من أمته، فقال الله تعالى له: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨].

ومما يزيد محبتَنا له ﷺ:

- التعرف عليه بقراءة سيرته الثابتة عنه، ومعرفة أخلاقه العظيمة، وشمائله الكريمة، فهو الذي وصفه ربه الذي خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

---

(١) «صحيح مسلم» (١٢١٨).

(٢) «مسند أحمد» (٧٩٩٣)، و«سنن النسائي» (١٥٠).

ومن محبة رسول الله ﷺ :

محبة أهل بيته وأقاربه المؤمنين به: كعمه حمزة، وعمه العباس، وابن عمه وصهره علي بن أبي طالب، وابن عمه جعفر بن أبي طالب، وزوجاته جميعاً، وبناته زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وأحفاده الحسن والحسين، رضي الله عنهم أجمعين.

فنحبهم لقرابتهم لرسول الله ﷺ، ولصبرهم معه في دعوته، وتحملهم الشدائد لحماية النبي ﷺ ونصرته، ولذا زكّاهم الله وطهّرهم فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ومن محبته ﷺ :

محبة أصحابه الذين آمنوا به في حياته وماتوا وهم متمسكون بدينه؛ وذلك أنهم:

- أوّلُ مَن آمن بالله ورسوله.
- وصَحِبوا الرسول ﷺ في حياته.
- وجاهدوا معه.
- وبلّغوا دينه ونشروه مِن بعده، فهذا الدين الذي نعبد الله به إنما وصلَنا مِن طريقهم وروايتهم فجزاهم الله عنا خير الجزاء.

فحبُّهم مِن محبة النبي ﷺ، وهم كانوا أعلم الخلق به، وأحبَّهم له، وهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وتبليغ دينه فقال الله عنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

الدين قناعات عقلية ومشاعر قلبية

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جاء رجل من أهل البادية إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قَالَ: «**وَيْلَكَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا فَإِنَّهَا قَائِمَةٌ؟**». فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ ثُمَّ قَالَ: ما أعددت لها من كثير عمل من صلاة ولا صوم ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». قَالَ أَنَسٌ: فقلنا: ونحن كذلك؟ قَالَ: «**نَعَمْ وَأَنْتُمْ كَذَلِكَ**». قَالَ أَنَسٌ: فما فرحنا بشيء بعد الإسلام فرحاً أشدَّ من قول النبي ﷺ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**»[1]. قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِب الله ورسوله ﷺ وأبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم.

إنّ هذا الدين قناعات عقلية، ومشاعر قلبية، فقد حفل القرآن باستنفار العقل للتفكر، وتتابعت آيات القرآن بالحث على ذلك:

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٦٨٨).

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الروم: ٨]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

وليس فيما أنزله في كتابه أو شرعه لعباده ما يجعل العقل في أزمة، أو يتوقف الفكر عنده رافضاً أو حائراً.

وكما هو قناعة عقلية فهو مشاعر قلبية، ولذا فإن الذين آمنوا بالنبي ﷺ قناعةً واستدلالاً تحول الإيمان في قلوبهم إلى حب غامر لله ورسوله، وكان بعض الصحابة يقولون للرسول ﷺ بعد أن يسلموا: **«وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ»**[١].

وبين النبي ﷺ أن هذه المشاعر القلبية عبادات مرتبطة بالإيمان فقال: **«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»**[٢].

(١) «صحيح البخاري» (٤٣٧٢)، و«صحيح مسلم» (١٧٦٤).

(٢) «صحيح البخاري» (١٦)، و«صحيح مسلم» (٤٣).

وقال ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»(١).

وأخبر ﷺ أن رحمة الخلق سبب لرحمة الله، قال ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»(٢).

ومن ذلك رحمة الحيوانات والرفق بها، قال رجل للنبي ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا**». فَقَالَ ﷺ: «**وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ**»(٣).

وأخبر ﷺ أنه «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**»(٤).

فإذا كان هذا ثواب رحمة الحيوان فكيف برحمة الإنسان لأخيه الإنسان؟!

---

(١) «صحيح مسلم» (٥٤).

(٢) «سنن أبي داود» (٤٩٤١)، و«سنن الترمذي» (١٩٢٤).

(٣) «مسند أحمد» (١٥٥٩٢).

(٤) «صحيح البخاري» (٣٤٦٧)، و«صحيح مسلم» (٢٢٤٥). والركية: البئر، والموق: الخُفّ.

لا ظُلمَ اليوم

إنّ الجزاء الأخروي جزاء عادل، فلا تُظلم نفسٌ شيئاً، ولا يُعاقب الله أحداً بذنب لم يفعله، ولا يعاقِبه بأكثر مما يستحقّ، فالله حكم عدلٌ، ورحمتُه سبقت غضبَه، ولا يوْقِع العقوبة إلا على مَن يستحقّها باعترافه وإقراره. ولذا يبيّن الله لعباده أن الجزاء في يوم القيامة بما كسبتْ كلُّ نفسٍ، فهو يوم العدل الذي لا ظلمَ فيه، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٦- ١٧].

وإنّ كلّ من يجازَون بالعذاب يوم القيامة إنّما يُساقون إليه بعد أن يقرأوا كتب أعمالهم، وتوزن سيّئاتهم، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّا

كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وسيعترفون على أنفسهم بذنوبهم: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ﴾ [غافر: ١١].

ولا يُلقى أحد في النّار حتى تقرِّرَه الملائكةُ بأن الرسالة قد بلَغَتْه، والحجةَ قد قامتْ عليه، قال تعالى عن جهنم: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٨-١٠].

وقد أخبر سبحانه أنه لا يمكن أن يعذّب مَن لم تبلغه رسالات الرسل وتقمْ عليه الحجة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥]، ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وهذا يبين أن من لم تبلغه رسالات الرسل فليس بمستحِقٍّ للعذاب، وكذا مَن بلغتْه بصورة مشوَّهة تمنع من قبولها.

فهؤلاء الطّيّبون الذين لم تبلغهم الرسالة الرّبّانية، ولو بلغتهم لاتّبعوها ولم يمنعهم كِبْر ولا جحود فإنّهم بمعزلٍ عن هذا العقاب الأليم.

وإنّما يستحق العقوبة من عرف الحق فأعرض عنه، وبلغته النذارة صحيحةً صريحةً فكذّب بها، واستكبر عنها.

ولن يَدَّعي أحدٌ يوم القيامة أنه ظُلِم، ولكنْ يتمنّون الرجوع وتصحيح الخطأ؛ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧-٢٨].

وإنّ ربنا عَزَّوَجَلَّ قد حرّم الظلم بين عباده، وقبل ذلك حرّمه على نفسه فقال في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فَلَا تَظَالَمُوا**»[1]. وقال عَزَّوَجَلَّ في كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، والحسنات يضاعف ثوابها، وأما السيئات فلا يعاقب إلا بقدرها؛ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فالحسنة يضاعف ثوابها عشر أمثالها، والسيئة بمثلها، فالهالك هو من كانت آحاد سيئاته أكثر من عشرات حسناته.

فلا يصحّ أن تذهب ظنوننا إلى التساؤل عن استحقاق المعذَّبين لعقوبتهم، فإنّ ربنا له الحجّة البالغة، والعلم المحيط، وهو الحكَم العدل، ورحمته وسعت كل شيء، ورحمته سبقتْ غضبه، وهو أرحم بخلقه

(١) «صحيح مسلم» (٢٥٧٧).

وأعلم بهم، ولن تنال عقوبتُه إلا مَن تراكمتْ سيئاتُه وأحاطت به خطيئتُه؛ ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].

نظرة المؤمن إلى الآخرة

يعيش المؤمن في هذه الحياة وبصره ممدود إلى الحياة الآخرة، وإلى مصيره بعد الموت، حيث حياة الخلود الأبدي، فهو يعلم أن هذه الحياة مهما طالت فهي قصيرة، ومهما كثرت فهي قليلة، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

إنّ متاع الحياة الدنيا زائل، وكل ما يملكه الإنسان في هذه الدنيا فهو ملك مؤقت، فإما أن ينتقل عنك، أو تنتقل أنت عنه.

ولتتضح حقيقة الحياة الدنيا يقارِنها الله بالحياة الخالِدة المستقرة: ﴿إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

وسوف تظهر الدنيا على حقيقتها، ويتضح لكل من عاشها حجمها الحقيقي، وذلك عند مغادرة الحياة وحلول الموت.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وعندما يُبعث الناس بعد الموت يتذكرون حياتهم الدنيا فيرونها شيئاً قليلاً قصيراً، قال تعالى يصف هذه الحال: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢- ١١٣].

ووصف الله الحياة الدنيا وبيّن حقيقتها بالنسبة للآخرة فقال: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

والجزاء الحقيقي إنما هو في الآخرة وليس في الدنيا: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠]، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٧].

وكثيرون هم النّاس الذين يعيشون في هذه الدنيا وكأنّها قرارهم وكلّ أعمارهم، فهم في استغراق مع شؤون الحياة يشبه الإغماء، فهمّهم وحديثهم عن قضايا الحياة، وكأنّ الكل مشدود بحبال وثيقة إلى شواغل الدنيا لا يعدوها أبداً إلى ما بعدها، ولا يرتقي منها إلى مصرِّفِ أمورِها،

ومالكِ زمامها، ولا حديثَ أبداً عن لقاء الله وهو حتمٌ، ولا عن عقابه وثوابه ولا بدّ منهما، فلهؤلاء نصيبهم من قول الله تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝٢٩ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [النجم: ٢٩-٣٠][1].

إن الحياة الدنيا مقدّمة وجيزة لكتابٍ طويل، وإن البشر الذين يحكمهم الزمن هنا سوف ينتقلون إلى حياة أخرى ينعدم فيها الزمن، فهي خلود لا نهاية له، وعلى البشر أن يُعِدوا أنفسهم لذاك البقاء السرمدي. ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

ولذا فإن السعيد هو من ينزل به الموت وقد استعد له، ويصل إلى الآخرة وقد عمل لها، وهؤلاء يكون مصيرهم في الآخرة التلقي بالبشرى، والاستقبال بالأمن يومَ الفزع، ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۖ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢]، إنّ هؤلاء الذين يَتلقون في الآخرة هذه البشائر الكريمة هم الذين كانوا يعيشون في الدنيا وهم ينظرون إلى الغد، ويُقَدِّمون للحياة الأخرى قبل أن يصيروا إليها، فكانوا يعيشون في هذه الحياة الدنيا وكأنهم ينظرون إلى الآخرة على أنها يوم الغد، فيخافون شدة هذا اليوم وهوله،

(١) «المحاور الخمسة للقرآن الكريم»، محمّد الغزالي (٦٦).

ويقولون وهم في الدنيا: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١٠-١١]، ولذا يقولون في الآخرة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٦-٢٨]، فإذا دخلوا الجنة تذكروا هداية الله لهم، ووعد رسله إياهم، وما كانوا يعملون في دنياهم لأخراهم فقالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

إن المؤمن يعيش في هذه الدنيا وهو ينظر إلى الآخرة، ويستعد لها، ويحاسب نفسه باستمرار ماذا قدّم لهذا المصير، وماذا عمل لذلك اليوم؟ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

إنّ الإيمان بأن الحياة الأرضية ممرّ لا مقرّ، وأن لقاء الله لا بد منه، وأن الاستعداد لهذا اللقاء مطلوب؛ كل ذلك لا يعني الإعراض عن الدنيا، وترك التمتع بطيباتها، وتشييدها وعمارتها، فليس هذا هديَ القرآن الكريم ولا سنة النبيّ العظيم ﷺ، فاليد العليا خيرٌ من اليد السفلى، والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف، وميزان القرآن الكريم: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

ثانياً

إسلامنا

أسئلة الإسلام

جاء أعرابي من بادية الحجاز، حيث الأرض المنفسحة، تحفُّ بها الجبال الشاهقة، تتطاول كأنما تحمل على أكتافها قبة السماء، انطلق من هناك تخبُّ به راحلته متوجِّهاً إلى المدينة، يقطع الطريق في نحو ثمانية أيام، ولم تكن له في المدينة تجارة يتربَّحها، ولا قريب يزوره، ولكن حاجته لُقيا ذاك الذي يقول: إنه رسول الله؛ يستثبت منه خبر النبوة، وحقيقة الرسالة، وليحسم قراره في الدين الذي سيدين لله به.

فلما وصل المدينة النبوية دخل المسجد وأقبل حتى وقف على الصحابة وهم جلوس مع رسول الله ﷺ، فلم يعرفه من بينهم، فلما دنا إليهم سألهم: أيكم ابن عبد المطلب؟ وكان رسول الله بينهم كأحدهم، ليس له شارة تميِّزه، ولا حال تُشهِره، فلم يجدوا ما يدلونه به على رسول الله ﷺ إلا وضاءته وبهاؤه، فقالوا: هو ذاك الأبيض المتكئ. فتوجه إليه، ووقف بين يديه، وناداه كما ينادي غيره: يا ابن عبد المطلب. فقال ﷺ:

«**قَدْ أَجَبْتُكَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ**». قال: محمد؟ قال: «**نَعَمْ**». ومع ما في هذا النداء من جفاء، إلَّا أنه أتبعه بنداء أشدَّ منه قائلاً: إني سائلك، فمشدِّد عليك في المسألة، فلا تجدْ عليَّ في نفسك. فأجابه خير معلِّم للناس الخير قائلاً: «**لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ**». فلم يكن في دينه ولا تعليمه مناطق محظورة، ولا زوايا معتِمة، ولكنه الوضوح والنصاعة.

فسأل وكانت أسئلةً تدل على صفاء العقل ومنهجية التفكير، فكان أول ما سأل أن قال: مَن خلق السماء؟ فأجابه رسول الله ﷺ: «**اللهُ**». قال: فمَن خلق الأرض؟ قال: «**اللهُ**». قال: فمَن نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: «**اللهُ**». قال: فإني أسألك بالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل، إلهك وإله مَن كان قبلك، وإله مَن هو كائن بعدك: آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». قال: فإني أسألك بالذي أرسلك: آلله أمرك أن نعبده وحده، وأن نخلع هذه الأوثان التي كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». قال: فإني أسألك بالذي أرسلك: آلله أمرك أن نصلِّي هذه الصلوات الخمس في يومنا وليلتنا؟ قال: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». قال: فإني أسألك بالذي أرسلك: آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا، فتقسمها على فقرائنا؟ فقال: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، قال: فإني أسألك بالذي أرسلك: آلله أمرك أن نصوم شهر رمضان في سنتنا؟ قال: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**». قال: فإني أسألك بالذي أرسلك: آلله أمرك أن نحج البيت مَن استطاع إليه سبيلاً؟ قال: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**».

قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أَنْقُصُ منهن، وأنا ضِمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر، وأما هذه الفواحش فو الله إن كنا لنتنزَّه عنها في الجاهلية، أي: أننا كنا نتجنب كثيراً من الفواحش المحرمة في الجاهلية، فنحن في الإسلام أكثر تنزُّهاً عنها.

ثم انصرف إلى بعيره، فحلَّ عِقاله، وركبه راجعاً إلى قومه، فلم يكن له في المدينة حاجة بعد ذلك.

فلما ولَّى قال النبي ﷺ: «**فَقِهَ الرَجُلُ، إِنْ يَصْدُقْ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**»(١).

وعجب فقهاء الصحابة من فقه هذا الأعرابي، حتى قال عمر: ما رأيت أحداً أحسن مسألة، ولا أوجز من ضمام.

إن هذا الرجل قد سمع بشرائع الإسلام واقتنع بها، وإنما جاء ليتعرّف على هذا الرسول ﷺ، فلمّا رآه رأى علائم الصدق على مُحيَّاه وعلى حاله، ولذا كفاه أن يسأل النبي ﷺ سؤال المتثبِّت فازداد بلقيا النبي ﷺ وسؤاله إيمانا ويقيناً، فأعلن إسلامه بين يدي النبي ﷺ ثم رجع إلى دياره.

فلما وصل إلى قومه اجتمعوا إليه، فكان أول ما صنع أن حطَّم عظمة أوثانهم الموهومة، فنادى قائلاً: بئست اللات والعزى. وهي أوثانهم

(١) «مسند أحمد» (٢٢٥٤)، و«صحيح البخاري» (٦٣). والْعَقِيصَتان: هما ضفائر الشعر.

التي كانوا يعبدون، فعجب قومه من هذه الجرأة على آلهتهم، فخوفوه ما كانوا يخافونه من ضرر الآلهة وغضبها، وقالوا: مَهْ يا ضمام، اتقِ البرص، اتقِ الجذام.

ولكن ضِماماً اجتاز هذه العقيدة، وصحح تصوره واعتقاده، فقال لهم: ويلكم، إنهما والله ما تضران وما تنفعان، وإن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما آمركم وأنهاكم عنه.

ولم يزل يحاورهم ويقنعهم، حتى ما أمسى من ذلك اليوم في حاضرته من رجل أو امرأة إلا مسلماً، وسمع الصحابة بصنيعه ذلك، فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما سمعنا من وافد قط كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

إن هذا المشهد يجيب على تساؤل كثيرين يريدون التعرف على الإسلام ليتّضح لهم أن هذا الدين الذي اختاره الله للبشرية عامة واضح فليس فيه غموض، وبسيط فليس فيه تعقيد، وسهل فليس فيه عسر؛ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وأن الدخول في الإسلام لا يعني حدوث زلزال في حياتك، ولا ارتباك في علاقاتك، ولا اضطراب في أمورك، ولكنه جمع لشتات الحياة، وتوحيد للقصد، واستقامة في السير والاتجاه.

فيتوجه القصد بالعبادة لله وحده لا شريك له، ويعيش المسلم حياته مستشعراً قرب الله منه، واطلاعه عليه، وعلمه بسره وعلانيته.

فتتحول وحشةُ الحياة إلى أُنس، وحيرتُها إلى هداية، ويعيش المسلمُ حياته وكأنه يرى الله حيثما توجه، كما قال ﷺ: «**الإِحْسَانُ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»(١).

وأما أحكام الإسلام وشرائعه فهي مؤتلفة مع طبيعة الإنسان وتكوينه، فإن الذي خلق هذا الإنسان هو الذي شرع له هذا الدين بما يلائمه وتستجيب له فطرته؛ ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

ولذا فليس فيها عسر ولا تكليف بما لا يطاق؛ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وليس فيها حرمان من الاحتياجات الفطرية، أو التمتع بطيبات الحياة، ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وفي هذه السطور تعريف بمسار الحياة مع الإسلام بوضوحه وبساطته.

وبيان لتصور المسلم واعتقاده وعبادته وسلوكه.

وذلك لتكون إضاءات لمن توجهوا إلى الإسلام وتشوقوا لمعرفة طريق الحياة مع هذا الدين، ليروا كيف تكون الحياة مع الله آمنة هانئة، طيبة في الدنيا ومنعَّمةً في الآخرة.

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٠)، و«صحيح مسلم» (٨).

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

نعمة الهداية

أخي وأختي، هل تعلم كم كان فضل الله عليك عظيماً حينما توجهت إلى الهداية فشرح الله صدرك للإسلام واختارك لتكون مسلماً في حين أن هناك مليارات من البشر يعيشون على هذه الأرض، وما زالوا تائهين عن هذه الحقيقة أو غافلين عنها؟!

وأنّك بإسلامك التحقت بركب الهداة والصالحين، وهذا ركب إمامه الأول أبونا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي هذا الركب عظماء البشرية كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عَلَيْهِمُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأتباع الأنبياء من الصديقين والشهداء والصالحين فهنيئا لك.

إن هذا يجعلنا نستشعر عظيم هذه النعمة من الله علينا؛ فهو الذي جعل دينه واضحاً بلا غموض، ويسيراً بلا عسر، ودلّنا عليه، وأقبل بقلوبنا إليه. وهذا اعترافٌ بفضل الله علينا، حيث اختارنا لنكون مسلمين، فالهداية ليست

بالذكاء، ولا بالعلم، ولكن قبل ذلك هي بهداية الله وتوفيقه، وإلا فكم من الأذكياء والعباقرة الذين استمروا تائهين شاردين عن الله، لم يتبعوا دينه، ولم يهتدوا بهداه.إن هذا يجعلنا نستشعر عظيم هذه النعمة من الله علينا؛ نعمة الهداية للإسلام. فالله هو الذي دلّنا عليه، وأقبل بقلوبنا إليه. وهذا اعترافٌ بفضل الله علينا، حيث اختارنا لنكون مسلمين، فالهداية ليست بالذكاء، ولا بالعلم، ولكن قبل ذلك هي بهداية الله وتوفيقه، وإلا فكم من الأذكياء والعباقرة الذين استمروا تائهين شاردين عن الله، لم يتبعوا دينه، ولم يهتدوا بهداه.

وهـذه الهداية يهبها الله ويزكّيها في قلوب مَن يُخلِص في طلبها، ويَصدُق في اتباعها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٧].

وإنّما تُصرف الهداية عمّن أعرض عنها واستكبر عن اتباعها، كما قال تعالى عن القرآن: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

وعندما أقبلت بقلبك على الاسلام، منشرحاً له صدرك، فتح الله لك باب الهداية إلى دينه، فأنت تسير في طريق ينتهي بك إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وعلى موعد فيها مع النبيين والصديقين وعباد الله الصالحين.

ولذا نستشعر نعمة الهداية، ويَعْظُم في نفوسنا الامتنان الكبير لله بها.

ويقول أهل الجنة وهم يتنعمون فيها: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال نبي الله إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧]، وكان النبي ﷺ وأصحابه يرددون: «**اللَّهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا**»(١).

وإذا اختارك الله للهداية إلى دينه، فأنت تسير في طريق ينتهي بك إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وعلى موعد فيها مع النبيين والصديقين وعباد الله الصالحين.

ولأهمية الهداية؛ أرشدنا الله إلى الإكثار من سؤاله إياها: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، يُكررها المسلم في صلاته لله في كل يوم (١٧) مرة على الأقل.

فهل يَعْلم المسلم أيَّ نعيم هو فيه حين اهتدى إلى طريق الله وتوجه إليه؟

وهل يتذكر عِظَم فضل الله عليه، عندما اختاره ليكون مسلما؟ فيحمد الله على ذلك، ويسأله المزيد من فضله، والثبات على دينه، فكم في هذه الأرض من البشر يعيشون في حيرة، أو يسيرون على غير هدى، لم يجدوا لذة الإيمان، ولا يقين الهداية، فهم في متاهة الحَيرة، أو غيبوبة الشهوة، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

(١) «صحيح البخاري» (٢٨٣٧).

الثبات على الإيمان

لاحظت عائشة أن رسول الله ﷺ كان يكثر أن يقول: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**». فعجبتْ من ذلك، وسألته: يا رسول الله، إنّك تكثر أن تقول: يا مقلّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك؟. فقال لها ﷺ: «**وَمَا يُؤَمِّنِّي يَا عَائِشَةُ، وَقُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ** عَزَّوَجَلَّ، **إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ لَهُ قَلَبَهُ**»[١]. إن الرسول الذي تنزَّل عليه الهدى يسأل الله الثبات ويكثر من ذلك حتى يدلّ أمته أنّ على كل مؤمن يسأل الله الهداية أن يسأله الثبات عليها، لأن القلب كثير التّقلّب، وعرضة للمؤثرات، فما لم يحفظ الله له استقراره أوشك أن ينقلب أو ينتكس. وقد لاحظ الصحابة أن النبي ﷺ إذا أراد أن يقسم قال: «**لَا وَمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ**»[٢]. حتى كانت أكثرُ أيمانه بها تنبيهاً لهذا الأمر ورعايةً له.

(١) «مسند أحمد» (٢٦١٣٣)، و«سنن الترمذي» (٣٥٢٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٦١٧).

إن الإنسان كما يسأل الله أن يحفظ عليه صحته وماله وأمانه، فإنه يسأله ما هو أهم وأغلى وهو حفظ دينه وهدايته.

والإنسان في هذه الحياة عرضة لمؤثرات كثيرة من الشهوات والمغريات والشبهات والآراء والأفكار المتزاحمة والتي تعرض بأنواع التزييف الخادع، ولذا يلح المؤمن على ربه أن ينير بصيرته ويحفظ عليه دينه، وأن يثبّت قلبه على الدّين والهدى، حتى لا ينزلق إلى غواية ولا ينخدع بشبهة.

وقد ذكر الله دعاء الراسخين في العلم بالله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

عالمية الإسلام

الإسلامُ لا قوميّةَ له، فهو ليس إسلامَ جنسٍ أو بلدٍ أو لونٍ، ولكنه إسلام العالَمين كُلِّهم لله عَزَّوَجَلَّ، وليس فيه تمييز بين الأجناس والقوميات، فشجرة البشرية تلتقي أغصانها عند جذعٍ واحدٍ هو أبو البشرية آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. ولذا جاء النداء في القرآن لبني آدم: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾، وللناس كافّة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وأخبر الله نبيه أن رسالته عالمية موجهة للناس كلهم فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقد تفرّعت هذه الشجرة إلى قوميات وأجناس للتعارف؛ لا للتمايز والتفاخر كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣].

وكان من عجيب دعوة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الإسلام أنْ آمنَ بها في أول الدعوة مجموعة مِن السابقين إلى الإسلام مِن قومياتٍ متنوعة،

فكان في أصحاب رسول الله خديجة وأبو بكر وعلي من العرب، وبلال وأم أيمن الإفريقيّان الحبشيان، وسلمانُ وسالم الفارسيان، وصهيب الرومي، وعبد الله بن سلام الإسرائيلي وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد قضى الإسلام على كل أنواع العنصرية القومية؛ فأعلن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع إلغاء التمايز العنصري بين البشر فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعجَمِيٍّ عَلى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمرَ عَلى أَسْوَدَ وَلَا لِأَسْودَ عَلَى أَحْمرَ إِلَّا بِالتَّقوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**»[1].

وقد دخلتْ أُممٌ شتى في الإسلام مِن غير أن تفقد انتماءها القوميّ أو تتخلى عنه، وإنما استوعبتهم بوابة الإسلام الواسعة جميعاً، واستوعبت إنجازاتهم.

وبقيت الأمة الإسلامية مَدينةً لعلماء الإسلام الذين كانوا من قوميات متنوعة، كالعرب، والفرس، والترك، والبربر، والروم، والزنج وغيرهم.

ولذا فلا يَلْزم أحداً إذا أسلمَ أنْ يتخلى عن قوميّته: في لباسه أو لغته أو اسمه أو وطنه، فالإسلام قد استوعب البشرية بكل أطيافها القومية وأعراقها وأجناسها.

(١) «مسند أحمد» (٢٣٤٨٩).

وهوية هذا الدين هي التوجه لله، وليس التوجه إلى جنس أو قومية، فالخلق كلهم خلْقه جميعا، وهو جَلَّ وَعَلَا ربهم ومعبودهم جميعاً، ولذا جعل الأفضلية بينهم بتقوى الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وجمعهم على تنوعهم في صف واحد في الصلاة، وفي لباس واحد، وهيئة واحدة في الحج، وحذر من تَنَقُّص أحد بلونه أو قوميته، فقال ﷺ لمن عير رجلا بلون أمه: «**أَعَيَّرتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»[1] أي خصلة من خصال الجاهلية.

(١) «صحيح البخاري» (٣٠)، و«صحيح مسلم» (١٦٦١).

إسلامك وعلاقاتك

ربما تدخل في الإسلام ويبقى والداك على دين آخر، وهذا لا يعني انفصالك عن أسرتك اجتماعيا، وإن كنت انفصلت عنهم دينياً، ولذا فلابد مع اعتناقك للإسلام أن يتضاعف بِرُّك وإحسانك إلى والديك وإنْ كانا متمسِّكَيْنِ بدينهما، وكارهين لدينك، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

والبر بالوالدين طاعة لله وقُرْبة عظيمة إليه سواءً أكانا مسلمين أم غير مسلمين. وكذا الزوجة والأولاد والأقارب ينبغي التواصل معهم بودٍّ ورحمة وإحسان، فقد قال النبي ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»[(١)].

(١) «سنن ابن ماجه» (١٩٧٧)، و«سنن الترمذي» (٣٨٩٥).

وكذا في علاقتك مع زملائك أو أصدقائك فالعلاقة الإنسانية واسعة، وحسن الخلق يسع الناس كلهم، وقد قال ﷺ: «**خَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[1]، والناس كلمة عامة تشمل المسلمين وغيرهم، فحسن الخلق شعار المسلم في التعامل مع الناس جميعاً، وفي حسن هذه العلاقة واستمرارها تعريفٌ بدينك ودعوة إليه.

وربما قابل بعض المسلمين عند إسلامه مواجهة من أسرته أو مجتمعه، وقد يتعرض للمضايقة والإيذاء النفسي، فعليه حينئذ أن يقابل ذلك بثبات وصبر وحسن تعامل، وأن يعلم أن هذا اختبار إلهي لصبره وثباته وقناعته بدينه، كما قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وحكى الله عن أتباع الأنبياء قولَهم عندما آذاهم قومهم: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [ابراهيم: ١٢]، وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ۝١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٧-١٢٨].

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢٠٥٩).

إسلامك مسؤولية

عندما يَعْلم الناس بإسلامك؛ فإنهم سيقرأون كل تصرفاتك على أنها الإسلام، فاحذر أن تكون أنت دعايةً سيئة للإسلام بسلوك غير حميد، واستشعر المسؤولية في تمثيل الإسلام بالتزامك بأخلاق الإسلام التي هي عبادات لله:

- فالصدق في الحديث عبادة.
- وأداء الأمانة عبادة.
- والإخلاص في العمل عبادة.
- وحسن الخلق في التعامل مع الناس عبادة.
- فينبغي أن يلاحِظ الناس مِن حوْلِك أن دينك قد نقلك إلى الأفضل.

التعريف بالإسلام

وحين أكرمك الله بالهداية للإسلام، استشعرْ المسؤولية عن دينك، وأنك مبعوث بما بُعث به نبيك محمد ﷺ، وكما بلَّغ رسولُنا الدين إلينا فإنّ كل جيل مِن المسلمين يتحمل مسؤولية تبليغ هذا الدين ونشْره في العالم ونقله للأجيال القادمة.

ولولا اتّباع هذا الطريق بتبليغ الإسلام؛ لَمَا وصل هذا الدين إليّ وإليك، وقد أعْلمَ النبي ﷺ أصحابه أنهم مبعوثون بما بُعث به في هذا الكون الواسع إلى كل الناس وإلى الأجيال المتعاقبة؛ فقال لأصحابه: «**إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**»[1]؛ فأَسندَ البعثة إليهم؛ لأنهم سيبلِّغون البشرية ما بلّغه رسول الله إليهم مِن الهدى والنور، وسيقومون بمهمّته ﷺ في الدعوة إلى الإسلام.

(١) «صحيح البخاري» (٢٢٠).

وإنّ مِن أعظم الإحسان إلى الخلق: دلالتهم إلى الطريق المستقيم، وهدايتهم إلى الإسلام، وهي مهمة الرسل وأتباعهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «**وَاللهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»[١]. أيْ: أجود وأجمل الإبل، وكانت أنفس المال وأغلاه في زمنهم، وهذا تصوير لعظيم الأجر في ذلك.

وقد تكون للإنسان قبل إسلامه حالة حيرة ومعاناة فكرية، ولإسلامه قصة مُلهمة، وتكون حكايتها سبباً للدعوة والهداية، ومقارنة الحال قبل الهداية بما بعدها، كما قال جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنّجاشي ملك الحبشة يصف حالهم قبل الإسلام وبعده: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام، فعدد عليه أمور الإسلام، ثم قال: فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا[٢].

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٩٤٢).

(٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٧٤٠).

فكان في مقارنة حالهم قبل الإسلام بحالهم بعده ما يبيّن أثر الإسلام في إزالة الحيرة واستقامة السّلوك، ووضوح الرؤية، واستقرار الحياة.

وعلى كل منا أن يقوم بهذا الدور، وهو التعريف بدين الإسلام وتوضيح حقائقه في الدوائر المحيطة به، وأولها أسرته وأصدقائه ومجتمعه القريب ثم مجتمعه الواسع بحسب قدرته وإمكاناته، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

الرجل والمرأة

أخي وأختي؛ لقد كان من حكمة الله العظيمة أن خلق الزوجين الذكر والأنثى؛ ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥]، وجعل العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة تكامل تتحقق بها عمارة الكون، وتتابع أجيال البشرية، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾ [النساء: ١].

وبَيَّن أن العلاقة بين الرجل والمرأة قائمة على المودة والرحمة: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وبَيَّن ربنا في كتابه أن الثواب وحسن الجزاء هو للرجال والنساء سواء بسواء: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وأن الفضائل والأعمال

الصالحة مطلوبة من الرجال والنساء، وموجودة في الرجال والنساء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأثنى الله على امرأتين كريمتين وذكرهما لتكونا مثلا وقدوة لكل المؤمنين رجالا ونساء، فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١١-١٢].

وفي القرآن سورة طويلة هي سورة النساء، وسورة باسم مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ.

الدين يسر

قد يَحدُث عند بعض المسلمين الجدد قوة اندفاع في العبادة، ورغبة في التعويض عما فاته مِن الطاعات، فيأخذ بمحاولة حَرْق المراحل واختصارها؛ مما يُفْضي به إلى التشدد وإجهاد النفس بما لا تطيق الاستمرار عليه.

وحينئذٍ، ينبغي أن نعلم أن هذا الدين يُسْرٌ، وأن الله رفيقٌ يحب الرفق في الأمر كله، وقد نهانا نبينا ﷺ أن نتكلف من العبادات ما لا نُطيق، فقال: «**اكْلَفُوا** -أي: اعملوا- **مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمِلُّ حَتَى تَمَلُّوا**»(١). ولمّا سئل رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى الله أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**»(٢).

(١) «صحيح البخاري» (١١٥١)، و«صحيح مسلم» (٧٨٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٤٦٤)، و«صحيح مسلم» (٧٨٣).

وأن نعلم أن الله قد رفع عنا الحرج؛ فلا عُسر في هذا الدين، ولا حرج، بل جاء هذا الدين لِيَرفع الحرَج عن البشرية، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ [الحج: ٧٨].

وأن الله يريد بنا اليسر كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقد أرشدنا رسول الله ﷺ إلى التوازن في أداء الحقوق، فقال: «**إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**»[١].

ولهذا فإنّ من المهم مراعاة التوازن، والقدرة على الاستمرار في أداء العبادات، ومعرفة يُسْر هذا الدين وسماحته.

(١) «سنن الترمذي» (٢٤١٣).

المحافظة على نجاحاتك

ومن التوازن في حياتك بعد الإسلام أن تُحافظ على نجاحك في أعمالك الدنيوية؛ إذا كانت مباحة، وأن تكون أكثر إصرارا على التميّز؛ لأن ذلك سيجعل منك شخصا ناجحا في المجتمع، وجاذبا للآخرين. فإن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. وحتى لا يظن الآخرون أن دخولك في الإسلام كان سببا في تحويلك إلى شخص فاشل في الحياة، قال ﷺ: «**المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزْ**»[1].

ومن ذلك استمرارك في عملك ودراستك وتفوقك فيها، ومواصلة التعلم واكتساب المهارات، فكل ذلك قوة وتميز.

(١) «صحيح مسلم» (٢٦٦٤).

كما أن إسلامك لا يعني ترك هواياتك التي تجد فيها متعتك، أو نشاطاتك التي تجد فيها سعادتك إذا لم يكن فيها ما هو محرم، فالدين تفاعل مع الحياة وليس قطيعة معها.

ولذا كان للصحابة مع النبي ﷺ هواياتهم ولهوهم ومتعهم، ومن ذلك أنّ رسول الله ﷺ كان يقاسم زوجته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بهجة العيد في بيتها، ويعيش معها فرحته، إذ سمع جلبة وأهازيج، فإذا هم الأحباش قد دخلوا ساحة المسجد، ومعهم حرابهم ودَرَقهم -وهي تروس من جلد- وجعلوا يرقصون في المسجد على طريقتهم، ويهزجون بلغتهم، وكان مشهدهم طريفاً ومُبهِجاً، فأقبل النبي ﷺ على زوجته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وناداها: «**يَا حُمَيْرَاء، أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ؟**». قالت: نعم، وددت أني أراهم. فوقف لها رسول الله ﷺ على باب حجرته، وجاءت هي من ورائه، فوضعت ذقنها على كتفه، وألصقت خدها بخده، وألقى عليها رداءه يسترها به، وهي تنظر إلى لعب الحبشة، والنبي ينظر معها إليهم. ويغريهم بمزيد الحماس في استعراضهم ذلك قائلاً: «**دُونَكُمْ بَنِي أَرْفِدَةَ**». (وهو لقب الحبشة)، وازداد حماسهم بهذه المشاركة الشعورية من النبي ﷺ، وهم يرقصون بين يديه، ولم يسعفهم في التعبير إلا لغتهم، فجعلوا يتكلمون بكلامهم الذي لا يفهمه، فقال ﷺ: «**مَا يَقُولُونَ؟**». قيل: يقولون: محمد عبد صالح. قالت عائشة: لم أعلم من كلامهم إلا قولهم: أبا القاسم طيبا أبا القاسم طيبا.

وبينما هم كذلك، إذ دخل عمر المسجد، فرأى مشهداً لم يعهده، فأهوى بيده إلى حصباء المسجد يرميهم بها، مُستَنْكِراً فعلهم ذلك في ساحة مسجد رسول الله ﷺ، فقال له الرسول ﷺ: «**دَعْهُمْ يَا عُمَر، فَإِنَّهُمْ بَنُو أَرْفِدَةَ**». أي: أن هذا شأنهم وطريقتهم. ثم أقبل عليهم قائلاً: «**أَمْناً بَنِي أَرْفِدَةَ**». أي: العبوا بأمان، وذلك حتى يُهدِّئ من رَوْعِهم بعد أن أفزعهم عمر. ثم جعل يستثيرهم قائلاً: «**اِلْعَبُوا بَنِي أَرْفِدَةَ، حَتَى تَعْلَمَ الْيَهُودُ وَالْنَّصَارَى أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةٌ، إِنِّي بُعِثْتُ بِحَنِيفيَةٍ سَمْحَةٍ**»[1].

---

(١) «مسند أحمد» (١٢٥٤٠ - ٢٤٨٥٥)، و«صحيح البخاري» (٢٩٠٧).

حُسن الخلق

جاء جرير البَجَلي إلى النبي ﷺ في السنة السابعة من الهجرة، أي: بعد عشرين سنة من بعثة النبي ﷺ فغمره حسن خلقه، فكان يتحدث عن ذلك، ويقول: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ الله ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا لَقِيَنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي[١]. فانظر كيف شعر جرير بإشراق ابتسامة النبي ﷺ له، وكأنها شيء يخصه به، وابتسامة يدخرها له، وذلك لِـما يرى في ابتسامة النبي ﷺ له من الإشراق والبهجة والحيوية، مع أن هذه صفة عامة يلقى بها النبي ﷺ كل أحد، حتى قال عبد الله بن الحارث بن جَزْء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ[٢]. ولكن حيوية تبسمه تجعله يشعر كلَّ أحد بخصوصيته وأهميته حتى كأن هذه الابتسامة له خاصة.

(١) «صحيح البخاري» (٣٠٣٥)، و«صحيح مسلم» (٢٤٧٥).

(٢) «مسند أحمد» (١٧٧٠٤، ١٧٧١٣)، و«جامع الترمذي» (٣٦٤١).

وإذا كان هذا تعامله مع مسلم لم يلحق بالركب إلّا متأخرا فكيف بتعامله مع السابقين من أصحابه وكيف حفاوته بهم؟!

إن هذا أحد جوانب العظمة الأخلاقية للنبي ﷺ والتي أكرمه الله بها، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وكما كان ﷺ عظيم الخلق فقد كان يحثّ على حسن الخلق ويعظِّم شأنه، ويبين أنه من أشرف خصال المسلم، فقال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقاً**»(١). وقال: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ**»(٢).

والفرق بين أخلاقيات التعامل عند المسلم وغيره أن المسلم حين يطبِّق حسن الخلق مع كل من يعاملهم لا يفعل ذلك كَفَنٍّ من فنون العلاقات العامة، ولكنه يفعل ذلك عبادة يتعبد بها لله، ولا ينتظر جزاءها ممن يعاملهم، ولا ينتظر مكافأتهم له بالمثل، ولكن ينتظر الأجر من الله وحده، قال ﷺ: «**أَكْثَرَ مَا يُدْخِلُ النَّاس الجَنَّةَ تَقْوَى الله وَحُسْنُ الخلقِ**»(٣).

فأخلاق التعامل الحسنة عبادات لله أولاً، ولذا قال ﷺ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»(٤).

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٠٣٥).

(٢) «سنن الترمذي» (٢٠٠٢).

(٣) «مسند أحمد» (٩٦٩٤)، و«الأدب المفرد» (٢٨٩)، و«سنن الترمذي» (٢٠٠٤).

(٤) «سنن الترمذي» (١٩٥٦).

وجاء القرآن يحث على إخفاء الإحسان إلى الناس حفاظاً على مشاعرهم فقال: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

كما أن أولى الناس بحسن الخلق وطيب التعامل هم أقارب الإنسان ومن هم حوله كجيرانه وزملاء عمله، ولذا جاء الأمر ببر الوالدين، والإحسان إليهما، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»(١). وقال: «**مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، حَتَّى اللُّقْمَة تَرْفَعُهَا إِلَى فِيِّ امْرَأَتِكَ**»(٢).

وقال ﷺ عن المرأة التي أطعمت ابنتيها بتمرات معها، وآثرتهما بها على نفسها: «**إِنَّ اللهَ قَدْ كَتَبَ لَهَا بِرَحْمَةِ ابْنَتَيْهَا الجَنَّةَ**»(٣).

وجاء الأمر من الله بالإحسان إلى الجيران، فقال تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ**»(٤).

(١) «سنن ابن ماجه» (١٩٧٧)، و«سنن الترمذي» (٣٨٩٥).
(٢) «صحيح البخاري» (٢٧٤٢)، و«سنن الترمذي» (٢١١٦).
(٣) «صحيح مسلم» (٢٦٣٠).
(٤) «صحيح مسلم» (٤٧).

وهذا التعامل بالخلق الحسن يبذله المسلم لكل من يعاملهم، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، فكلّ من كفّ عدوانه فهو مستحق للإحسان والبر والتعامل الكريم الحسن.

مَن يمثِّل الإسلام؟

سوف ترى في ساحة المسلمين فِرقاً كثيرة، كلٌّ منها يدّعي أنه هو الذي يقدِّم الإسلام الصحيح، لكن، المعيار في معرفة حقيقة الإسلام أمران مهمان، هما:

١- إفراد الله وتوحيده بالعبادة، فصرف أي نوع من العبادة لغير الله انحرافٌ عن عبادة الله إلى عبادة غيره، سواء كان من يُتَوجَهُ إليه من الأولياء أو الأنبياء أو أقارب الرسول أو الرسول ﷺ نفسه، وذلك أنّ الرسول هو الذي قال: «**لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ الله، وَرَسُولُهُ**»(١).

وكلُّ ما يُمْكن أن تراه في كثير من بلاد المسلمين مِن قبور ومزارات، يتوجه بعض الناس إليها بالدعاء، أو بشيء مِن العبادة؛ فهي أمور غير شرعية، بل قد نهى عنها الأنبياء كلهم، فكل الأنبياء جاؤوا ليوجِّهوا البشرية

(١) «صحيح البخاري» (٣٤٤٥).

إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فلا يَصحّ أنْ يُدْعى أحدٌ إلا الله، ولا يعبد إلا الله، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

٢- وأن العبادات كلها مستمدة مما شرعه الله لنا بدلالةِ رسوله ﷺ؛ فكل عبادة لم يدلّنا عليها الرسول، فليست عبادةً مشروعة، وإنما يُعبد الله بما دلت عليه رسله الكرام.

فليس لأحدٍ مِن الناس أن يَستحسن مِن عنده عبادةً يُضيفها إلى الدين، ولذا بقيت العبادات التي نتعبد لله بها ثابتة كما هي، فعباداتنا اليوم هي ذاتها العبادات التي كان النبي وأصحابه يتعبدون لله بها.

فلا عبادة إلا لله وحده، ولا عبادة لله إلا بما شرعه رسوله ﷺ.

ولذلك فإن المهم هو نقاء التدين من شوائب الإضافات المبتدَعة، وتطبيق الدين كما بلغه رسول الله ﷺ، وإذا رأيت من ينتفع قلبك بصحبتهم وتزداد بهم إيماناً وعلماً وإحساناً إلى الناس فالزمهم وتعاون معهم، وإن وجدت صحبتهم لا تزيدك إيماناً، ولا تزيدك حبّاً لإخوانك المسلمين، ولا إحساناً إلى الناس فابحث عن غيرهم فإنّهم ليسوا على هدي الأنبياء.

وعلينا التأكيد على وحدة المسلمين، والحذر من الانشغال بما يفرق الاجتماع، ويُحِدِث الشقاق، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا

وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [الإسراء: ٥٣].

دين المسلمين وواقعهم

إن المسلمين وإن كانوا كثرةً قاربت المليارين، إلا إنهم متفاوتون في التزامهم بالإسلام الذي ينتسبون إليه، ومتفاوتون في تطبيقه، ولذا فقد يُصاب الناظر لأحوالهم بصدمةٍ؛ لِما يرى من ابتعاد بعضهم عن حقيقة تعاليم الدين، ويَرى لديهم بعض السلوكيات الخاطئة التي يمارسونها، ويرى تخلف كثير من بلدانهم.

فينبغي أن يُنسب هذا التقصير والخطأ للمخطئ ولا ينسب للدين بحالٍ.

إن المقياس في معرفة حقيقة هذا الدين هو التعرف عليه مِن مصدره الحقيقي، وهو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وحديث نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الصحيح الثابت عنه.

وأمّا أعمال الناس وسلوكياتهم فعملٌ بشريٌّ هو عُرضةٌ للجهل والخطأ والتقصير.

ثالثاً

عباداتنا

عبادتنا حياتنا

أنزل الله دين الإسلام ليكون دين الحياة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فما يدعو إليه رسول الله ﷺ حياة وإحياء.

إنّ الدين ليس مفردةً من برنامج الحياة، ولكنه يحتوي الحياة كلّها، ويتفاعل مع كل مناشطها، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ومساحة الحياة الواسعة تَعاملٌ مع الله كما قال ﷺ: «**إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ**»[١]. ووسّع ﷺ آفاق العمل الصالح فقال: «**عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ**»[٢].

(١) «صحيح البخاري» (٥٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٨٩١)، و«صحيح مسلم» (١٠٠٩).

ولذا ينبغي أن تكون أعمارنا عامرة بعمل الصالحات، وعمل الصالحات منهج حياة تعامل به كل أحد وكل شيء، فأنت تعمل الصالح في حياتك كلها مع البشر ومع الحيوان ومع البيئة، وتتجنب الفساد والإفساد، ومن عمل الصالحات عملك الذي تكسب منه قوتك وتنفق منه على أسرتك، وإتقان عملك والإخلاص في تعاملك.

ومن عمل الصالحات تربية الأبناء والإحسان إليهم، وحسن علاقتك مع من تخالطهم، والإحسان لكل أحد ومحبة الخير لكل أحد، وأن تفعل مع الناس ما تحب أن يفعلوه معك، قال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١). وعمل الصالحات هو معاملة مع الله عزّو جلّ، والمعاملة مع الرب الكريم معاملة رابحة لا يمكن أن تضيع أو تخسر، ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧٣].

---

(١) «صحيح البخاري» (١٣)، و«صحيح مسلم» (٤٥).

وجزاء الله لمن عمل الصالحات في الدنيا هو الجزاء الكريم الأوفى في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، وقال: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾ [النساء: ١٢٤]، وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٩].

وسوف يتمنى كل من حضره الموت أن يرجع إلى الحياة، لا ليكسب مالاً أو يتلذذ بمتعة، ولكن ليستدرك عملاً صالحاً فرّط فيه، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وبدخول الإنسان الإسلام عليه أن يجتهد في الترقي إلى الكمال في أحواله وسلوكه وعبادته؛ حتى تكون كل مرحلة في حياته أحسن مما قبلها. فهو في كل مرحلة يقطعها من عمره يزداد علماً ويزداد خيراً، وأعظم ما يحفّزنا إلى الترقّي والتزوّد بالأعمال الصالحة استشعار نفاد العمر، وسرعة الانتقال إلى الدار الآخرة، ولذا أمرنا بالتفكر في هذا المصير والاستعداد له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، ﴿وَأَنفِقُواْ مِن

مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[المنافقون: ١٠].

فضل الصلاة

سأل النبي ﷺ أصحابه فقال لهم: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهرَاً بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، مَا تَقُولُونَ؟ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ؟**». قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «**ذَاكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهَا الخَطَايَا**»[١]. أيّ طهر ونقاء يخرج به الإنسان من صلاته وهي تغسله من خطاياه كما يغسله نهر غمْرٍ جارٍ قريب، إنها صورة أخّاذة تبيّن أثر الصلاة في نقاء النفوس وتطهيرها.

إن الصلاة هي الصلة بين المسلم وبين ربه، وهي ساعات القرب من الله عَزَّوَجَلَّ كما قال ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونَ الْعَبدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»[٢]. وهي نور في القلب، ونور في الحياة، ونور في الآخرة، قال ﷺ: «**والصّلَاة نُورٌ**»[٣].

---

(١) «مسند أحمد» (٨٩٢٤).

(٢) «صحيح مسلم» (٤٨٢).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٢٣).

ولشدة حاجة العباد إليها فرضها الله خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣]، وذلك حتى تتجدد صلتهم بربهم، ويطَّهروا بها من خطاياهم، ويسألوا الله ويدعوه في حال توجهٍ إليه وقربٍ منه.

وبقدر محافظة المرء على صلاته يحفظ دينه، فالصلاة عمود الإسلام، ولعظيم قدرها فإنها: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ** عَزَّوَجَلَّ: **انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ**»[(١)].

والحياة مع الصلاة رحبة مأنوسة مباركة، وبدون الصلاة ضيقةٌ كئيبة موحشة، ولذا قال ﷺ: «**جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[(٢)].

وهل أدلّ على أهمية الصلاة من أنها آخر وصايا النبي ﷺ في حياته؟! فقد كانت آخر وصاياه وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة أنْ قال: «**الصَّلَاةَ، الصَّلَاةَ**»[(٣)]. أي: أوصيكم بالصلاة، فهل أشد شدةً من سكرات الموت؟! ومع ذلك لم تُذهله ﷺ عن أن يتعاهد أمته بالصلاة، فتكون آخر وصاياه إليهم.

---

(١) «سنن الترمذي» (٢٠٠٢)، و«سنن النسائي» (٤٦٥).

(٢) «مسند أحمد» (١٢٢٩٣)، و«سنن النسائي» (٣٩٣٩).

(٣) «مسند أحمد» (١٢١٦٩)، و«سنن ابن ماجه» (١٦٢٥).

سكينة الصلاة

الصلاة ميعاد مع الله، ولقاء متجدّد بين المصلي وربّـه، ومحطّة ارتواء إيماني، وإحياء روحي، راحةٌ وسكينة، وظلٌّ باردٌ في حرارة الحياة وإجهادها، وبقدر عمقها في حياة الإنسان يكون أثرها في حياته.

وموعد الصلاة هو موعد تلقّي هبات الله وعطاياه لعبده، فإذا توضّأ تناثرت خطاياه مع قطر الماء عن أعضائه، وتلقّى الشهادة النبوية له بالإيمان، قال ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ**»(١). وقال: «**لَا يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِن**»(٢). فإذا توجّه إلى المسجد فهو في ضيافة الله، قال ﷺ: «**مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ** -أي: ضيافته- **مِنَ الجَنَّةِ كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**»(٣). فهو يسير كما يسير الضيف إلى بيت من دعاه، وفي طريقه

(١) «صحيح مسلم» (٨١٠).
(٢) «مسند أحمد» (٢٢٣٧٨)، و«سنن ابن ماجه» (٢٧٧).
(٣) «صحيح البخاري» (٦٦٢)، و«صحيح مسلم» (٦٦٩).

تُكتب خطواتُه، قال ﷺ: «**مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مَنْ بُيُوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً**»[(١)]. فإن كانت الصلاة صلاة ليلٍ -عشاءٍ أو فجر- كُتبت له البشرى بالنور يوم القيامة، قال ﷺ: «**بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٢)]. فإذا دخل المسجد فإن الملائكة تصلّي عليه وتدعو له، ويُكتب له أجر الصلاة ما دام ينتظرها، قال ﷺ: «**الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ**»[(٣)].

فهذه هبات الله وأنت في الطريق إليه، فكيف بعطاياه إذا وقفت بين يديه!

أما الصلاة فهي قرب من الله، ومناجاة لله، وصلةٌ بالله، ومَن حافظ عليها استشعر قرب الله منه، ومراقبتَه له، فاستقام سلوكه، وتباعد عن كلّ ذنب وخطيئة تُغضب ربّه الذي يجدد العهد معه في كلّ صلاة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١) «صحيح مسلم» (٦٦٦).
(٢) «سنن أبي داود» (٥٦١)، و«سنن الترمذي» (٢٢٣).
(٣) «صحيح البخاري» (٦٥٩)، و«صحيح مسلم» (٢٧٣).

فإذا وفقك الله لأداء الصلاة فاستشعِرْ هذه النعمة، واملأ قلبك فرحاً بالله الذي أقامك بين يديه وقرّبك إليه، واعلم أنّه ما أقبل بك إلّا ليَقبلك، وما دعاك إلّا ليُعطيك، وما وضعت له وجهك إلّا ليرفعك.

تذوّق لذّة خطابه عَزَّوَجَلَّ وأنت تقرأ في صلاتك، واملأ قلبك بمشاعر التعظيم له وأنت تسبّحه، وبحسن الظّنّ بفضله وكرمه وأنت تدعوه وتسأله.

وثِقْ أنّك لا يمكن أن تُقبل إليه فيردّك أو يصدّك، ولا أن تسأله فيَحرمك، فهو الغني الكريم الرؤوف الرحيم عَزَّوَجَلَّ.

فإذا انصرفت من صلاتك فاخرجْ ممتنّاً لله فرحاً بهدايته وإعانته، فقد وفّقك إلى الصلاة وأُنسها وبركتها، في حين تثاقَل عنها كثيرون وضيّعوها وغفلوا عنها، وإنّك لم تُقبل على الصلاة ويسهل أداؤُها عليك إلا لإيمانك بالله ويقينك بلقائه، قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

فاهنأ بصلاتك واستبشر بها، واحمدْ ربّك على هدايته وتوفيقه، وهنيئاً لك هنيئاً، وبشرى لك بشرى.

ذِكْرُ الله

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رسولَ الله، إنَّ شَرَائِعَ الإسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَليَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبثُ بِهِ، قَالَ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطباً مِنْ ذِكْرِ الله**»(١). لقد أرشده النبي ﷺ إلى خصلة جامعة لخصال الخير، وهي: ذكر الله عَزَّوَجَلَّ بالثناء عليه، وتعظيمه، وتوحيده، ودعائه.

فذكر الله حياة كما قال ﷺ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**»(٢).

وذكر الله صلة بالله وقرب منه، فالله مع من يذكره، قال ﷺ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ**

(١) «سنن ابن ماجه» (٣٧٩٣)، و«سنن الترمذي» (٣٣٧٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٤٠٧).

إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[1].

ما أعظم شرف الإنسان! وما أكرمه على الله! أن يذكره ربه العظيم في الملأ الأعلى، وأي رفعة وتشريف يرفعها الذكر لهذا الإنسان حتى يذكره ربه وهو المخلوق القليل الضئيل العابر في مثل الومضة على هذا الكون، فينال هذه الوجاهة والمنزلة، ويُرفع ذكرُه فوق السماوات العلى، بذكر الله عَزَّوَجَلَّ له عند ملائكته الكرام، فهو القائل عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وذكر الله هو أفضل العبادات وأيسرها، ولذا كان شأن عباد الله الصالحين ذكر الله على كل أحوالهم؛ ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وهو العبادة التي أمر الله بالإكثار منها ليُسرها وعظيم أجرها، فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]، وقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأفضل الذكر لله ما علمناه نبينا ﷺ من جوامع الثناء على الله وتعظيمه، ومنه:

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٤٠٥)، و«صحيح مسلم» (٢٦٧٥).

١- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[١].

٢- «سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ»[٢].

٣- «سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ»[٣].

٤- وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني شيئا أقوله، قال: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً وَالحَمْدُ لله كَثِيراً، سُبْحَانَ الله رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله الْعَزِيزِ الحَلِيمِ». فقال الأعرابي: هذا لربي، فما لي؟، قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي»[٤].

(١) «صحيح البخاري» (٨٤٤).
(٢) «مسند أحمد» (٨٠١٢).
(٣) «صحيح البخاري» (٦٦٨٢).
(٤) «صحيح مسلم» (٢٦٩٦).

الدعاء عبادة

توجّهُ المؤمن إلى الله بالدعاء عبادةٌ يثاب عليها، ويتلقى الله عبده إذا سأله وألح عليه بالكرم والفضل، ومن كرم الله على عباده أن أمرهم أن يدعوه ووعدهم أن يجيبهم، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ولا يمكن أن يتوجه المؤمن إلى ربه بالدعاء فيرده خائباً، ولكن تحقيق المسألة يرجع إلى علم الله وحكمته، فقد يؤخر تحقيق المطلوب لأن مصلحة الداعي في ذلك، وقد يعطيه خيراً مما سأل، وقد يدّخرها له أجراً في الآخرة يجده أحوج ما يكون إليه، قال ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو**

بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا». قَالُوا: إِذن نُكْثِرُ، قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ**»[١].

فكل دعاء نتوجه إلى الله به فهو عبادة نثاب عليها، وخضوع لربنا يرفعنا الله به، وكن على يقين أنك تسأل ربّاً كريماً لا يمنع ما عنده، وربّاً غنياً لا ينفد ما عنده، وقديراً لا يعجزه شيء، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسيّ: «**يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ**»[٢].

(١) «مسند أحمد» (١١١٣٣).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٥٧٧).

القرآن الكريم

جاء جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من مكة إلى المدينة، وكان مشركا لم يسلم بعد، قال: فدخلت المسجد والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يصلّي بالناس صلاة المغرب، فسمعته يقرأ سورة الطور فلمّا بلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]، فلمّا سمعتها كاد قلبي أن يطير[(١)].

إن هذه الآيات هزّت وجدانه كما هزّت قناعاته، وتأثّر بروعة بيانها وقوة حجّتها حتى كاد قلبه أن يطير من عظمة ما سمع، وقوّة وقعه على نفسه.

ولذلك قال: وذلك أوّل ما وقر الإيمانُ في قلبي.

لقد أعلن جبير إسلامه بعد ذلك بسنوات، ولكن سماعه لهذه الآيات كان بداية الهداية، وهذا من عظمة القرآن، ببلاغة بيانه، ووضوح برهانه، وقوة تأثيره على العقل والقلب.

(١) ينظر: «صحيح البخاري» (٤٨٥٤).

إنّ القرآن الكريم هو كلام الله الذي أوحاه إلى رسوله ﷺ، وهو الحق الذي لا شك فيه ولا تـردّد؛ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وفيه هداية للدين الحق والطريق القويم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وقد أنزله الله كلاماً بليغاً محكماً مدهشاً، يعجز الناس أن يأتوا بما يشابه بلاغته وبيانه، وتحدّى الكافرين به فأعجزهم، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

وتعهّد الله بحفظه ولذا بقي كل هذه القرون المتتابعة كما هو عندما أنزل على رسول الله ﷺ، ومخطوطات القرآن التي كتبت في أزمان متباعدة وبلدان متفرقة كلها متفقة على نصّه لا يوجد بينها فرق ولا اختلاف.

وهذا الكتاب العظيم حافلٌ بالقضايا الكبرى في الحياة، ففيه ثناء الله على نفسه وتعرّفه إلى عباده بصفاته العلى، وأسمائه الحسنى، وبيان استحقاقه للعبادة وحده لا شريك له، وفيه إثبات البعث بعد الموت وذكر الآخرة، ووصف مشاهدها، ووصف الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وفيه قصص الأنبياء وأخبارهم مع أممهم، وفيه الأمر بفضائل الأعمال، والدلالة على مكارم الأخلاق.

وقراءة القرآن والاعتبار بآياته عبادة لله، قال ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»[1].

لقد أنزل الله علينا هذا القرآن ليكون حاضراً في حياتنا، نقرأه ولا نهجره، ونعمل به ولا نُعرض عنه، وكلّما كانت صلتنا بالقرآن أقوى كنّا بالله أعرَف وإليه أقرب.

(١) «سنن الترمذي» (٢٩١٠).

رابعاً

خطايانا

التعثر بالأخطاء

يَعْلم المسلم والمسلمة أنّ دخوله في الإسلام يعني أنه قد اهتدى إلى الله خالقه، وأنه سلك الطريق الصحيح إلى الله، وهو الصراط المستقيم الذي يوصل إلى رضا الله وجنته.

ولكنّ المسلم لن يَنْفكّ عن بشريته، واحتمال وقوعه في الأخطاء السلوكية، أو التقصير في بعض ما أمره الله به، وهنا لابد مِن التأكيد على نقاط مهمة:

١- أنه لا واسطة بيننا وبين الله لِمغفرة الذنوب والخطايا، وليس هناك بشر نعترف له بهفواتنا، أو نطلب عَفوَه عن خطايانا عند الله، ولكن نُبقِي هفواتنا سراً بيننا وبين الله نعترف له بها، ونتوب إليه منها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

٢- ونَعْلم أن ربنا رحيمٌ واسع الرحمة، غفور عظيم المغفرة، يتوب علينا إذا تبنا صادقين، ويغفر لنا إذا استغفرناه نادمين، وأنه يرحمنا إذا رأى ندمَنا،

وأن كل ذنب نندم بسبب وقوعه منّا، ثم نستغفر الله منه؛ فإنه سيغفره لنا ويعفو عنّا.

٣- وعلينا أن ننتبه إلى أن أعظم حيلة يحاول الشيطان أن يوقع الإنسانَ في شِراكها هي أن يُشْعره باليأس من رحمة الله؛ حتى يوحِشَه من الله؛ ويُبعده عنه، ولذا فإن علينا أن نعْلم أنّ الله أرحم بنا مِن أمهاتنا، وأنّ عفوه أعظمُ مِن خطايانا، وأنه يَفرح بنا إذا أقبلنا عليه طالبين عفوَه، وتوسلنا إليه، أن يغفر خطايانا: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، فكلما استغفرت ربك فستجده غفوراً لذنبك رحيماً بك.

الخطايا المصاحِبة

قد تُصاحِبُك بعض الأخطاء التي أَدْمنتَ عليها قبل إسلامك، وتجِد أنّك لم تتخلص منها، فعليك أن تبذل جهدك في التّعافي منها ما استطعت، ولكن إذا أَخْفَقْت في ذلك أو عُدتَ إلى شيء منها قد اعْتدتَه؛ فاعلم أنك أنْ تَلقى ربك وأنت مسلم مذنب، خيرٌ لك مِن أن تلقاه مذنباً وأنت معرضٌ عنه.

واعلمْ أنّ الشيطان قد يوحي إليك عند الوقوع في الذنب أنّ الإسلام معاناةٌ لا تُطيقها، وحينئذٍ قد يكون ذلك سبباً لترك الإسلام عند بعض الناس، فاعلم حينئذ أن بقاءك على الإسلام مهما كانت معصيتك، خيرٌ لك مِن أنْ تَلقى الله كافراً به سائراً على غير دينه الذي ارتضاه للناس؛ لأنّ الله يغفر الذنوب كُلَّها مهما كثرت، ولكنه لا يغفر الكفر به والإعراض عن دينه؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وما أشقى حال من يكفر بالله بعد أن عرفه؛ فهذا حاله كحال الشيطان الذي كفر بالله بعد معرفته والإيمان به.

وقد ذكر الله حال المترددين في إيمانهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا﴾ [النساء: ١٣٧].

وقال: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

هل ورثنا الخطيئة؟

علينا أن نعلم أنّ الله خلقَنا أطهاراً أنقياء، وأننا أتينا إلى الدنيا بصفحة بيضاء نقية، على الفطرة السوية، التي فطر الله الناس عليها، لا نَرِث خطيئة، ولا نحمِل إثماً بسبب ذنْبٍ لم نعمله، ولذا كان النبي ﷺ يشبه حالة النقاء مِن الذنوب بلحظةِ الميلاد، فيقول في وصْف من رجع من حجه المقبول: «**رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[1]، أي: أنه رجع نقياً طاهراً بلا ذنب.

وأن الله لن يؤاخذنا بخطيئة أبينا الأعلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما أنه لن يؤاخذنا بخطيئة أبينا الأقرب الذي ننتسب إليه.

وأنّ الله بعدْله وحكمته، لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه هو، لا بذنب أحدٍ غيره، كما قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٨-٣٩].

(١) «صحيح البخاري» (١٥٢١)، و«صحيح مسلم» (١٣٥٠).

خطايانا قبل الهداية

جاء عمرو بن العاص إلى النبي ﷺ مسلماً، وكان من المشركين الذين حاربوا الإسلام عشرين سنة، فلما جلس عند النبي ﷺ قال: يا رسول الله، ابسط يدك أبايعك، فلما بسط النبي ﷺ يده كفّ عمرو يده، فقال له ﷺ: «**مَا لَكَ يا عَمْرُو؟!**». قال: أردتُ أن أشترط، قال: «**تشْتَرِطُ بِمَاذا؟**». قال: أشترط أن يغفر الله لي ما مضى من ذنوبي. فقال ﷺ: «**يَا عَمْرُو، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الذُّنُوبِ؟!**»[١].

لقد أخبر النبي ﷺ عمراً أنه بإسلامه وتوبته قد مَحا كل ما سبق من خطاياه، وأنه بتوبته ولد ميلاداً جديداً، واستأنف حياة جديدة.

فبشرى لك أخي، وبشرى لكِ أختي فبعد إسلامك سوف تَتَحوّل سَيِّئَاتُك التي اقترفتها قبل إسلامك إلى حسنات، وهذا فضل من الله، ومكافأة لعباده إذا دخلوا في الإسلام.

---

(١) «مسند أحمد» (١٧٧٧٧).

فمن اقترف شيئا من الذنوب قبل إسلامه كالزنا وشرب الخمر أو غيرها ثم أسلم وتاب، فإن الله يَمنحُه شيئين:

- العفو عن هذه الذنوب، فلا يحاسبه عليها.

- ويُبَدِّلُ الله هذه السيئات إلى حسنات.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]، فما عليك إلا أن تكون مسلماً مستقيماً بعد إسلامك، وسوف تتحوّل كل أعمالك إلى رصيدٍ إيجابي لصالحك.

وأما أعمالك الصالحة قبل الإسلام فهي محفوظة لك ومقبولة منك، فقد سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ عن أعمالٍ صالحة كان يعملها قبل أن يسلم فقاله له رسول الله ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ**»[1] أي: أن ما مضى من أعمالك الصالحة قبل إسلامك ثابت لك أجره.

فما أعظم فضل الله وجوده على من أسلم، تُقبل حسناته السابقة وتُغفر سيئاته السابقة وتُبدل حسنات.

(١) «صحيح مسلم» (١٢٣).

كما أخبر ﷺ أن من كان من أهل الكتاب من اليهود أو النصارى ثم آمن به ﷺ واتبعه فإنه يؤتى أجره مرتين، لأنه آمن بنبيه ثم آمن بمحمد ﷺ ، فجمع أجر الإيمان بهما جميعاً.

الرحمة الإلهية

كان النبي ﷺ جالساً مع أصحابه فرأوا امرأة مقبلة، قد زاغ بصرها، وانتفش شعرها، وهي تجول ذاهلة تبحث عن ولد لها رضيع قد فقدته، فبينما هي تبحث عنه بوَلهٍ ولهفةٍ إذا بها تجده فانفرطت عواطفها وأخذته وألزقته بصدرها وهي تجهش بكاء، ثم أخرجت له ثديها ترضعه حبَّها ولبنها، وكان مشهداً عاطفيّاً مؤثراً، تأثر به كل من شاهده، وهم يرون لوعة الأم على ولدها يوم فقدته، ورحمتها به حين وجدته، وإذا النبي ﷺ يستثير انتباههم بسؤال مفاجئ حيث قال لهم: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**». فقالوا جميعا: لا والله يا رسول الله، فقال ﷺ: «**اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**»[1].

إن هذا المشهد يصور لنا جانبا من الرحمة الإلهية الظاهرة في رحمة هذه الأم بولدها، فكيف إذا علمنا أن هذه الرحمة جزء يسير من مئة جزء

(١) «صحيح البخاري» (٥٩٩٩)، و«صحيح مسلم» (٢٧٥٤).

من رحمة الله كما قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءاً، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءاً وَاحِداً، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ**»[١].

إن هذه الرحمة الإلهية الغامرة هي أعظم ما نتوسل إلى الله به ونرجوه عنده، وقد عرّفنا عَزَّوَجَلَّ برحمته فقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ووصف نفسه بالرحمة فهو الرحمن الرحيم.

إننا إذا علمنا سعة هذه الرحمة الإلهية أنِسَتْ نفوسنا، وعظم رجاؤنا، وحسن ظننا بربّنا، وعلمنا أننا نعبد ربّاً رحيماً، هو أرحم بنا من أمهاتنا، فلا نظنّ به إلّا خيراً، ولا نرجو منه إلا الخير، وازدادت رغبتنا في فضله، وعظم رجاؤنا في عطائه، وشوقنا إلى لقائه.

(١) «صحيح البخاري» (٦٠٠٠)، و«صحيح مسلم» (٢٧٥٢).

مغفرة الذنوب

ما أروع هذا المشهد الذي يصوّر فيه النبي ﷺ فرح الله عَزَّوَجَلَّ بتوبة الخاطئ إذا ندم وتاب، وكيف يتلقى الله هذا التائب، ويقبل هذه التوبة، ويفرح بهذا الخاطئ الذي ندم وأقبل، فقال ﷺ: «**لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ رَجُلٍ بِأَرْضٍ دَوِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ فَأَضَلَّهَا فَخَرَجَ فِي طَلَبِهَا، حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ المَوْتُ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي الَّذِي أَضْلَلْتُهَا فِيهِ فَأَمُوتُ فِيهِ، فَرَجَعَ إِلَى مَكَانِهِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ فَاسْتَيْقَظَ فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَ رَأْسِهِ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَمَا يُصْلِحُهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ـأَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِـ فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ**»[1].

فما ظن التائب إذا علم أن ربه يفرح بتوبته فيقبله، ويغفر له ويطهّره من ذنوبه كأنّما ولد من جديد.

(١) «صحيح مسلم» (٢٧٤٤).

ولذا فإن خطايانا وإنْ كثرت، وذنوبنا وإنْ عظمتْ، لا تحجبنا عن الله إذا أقبلنا إليه نادمين مستغفرين، فهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وهو القائل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، والقائل: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

إن الله لا يطلب عبادَه بثأر، ولا يتقصّدهم بعقوبة ما استغفروه وقصدوه، قال ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[١].

(١) «مسند أحمد» (٢١٤٧٢)، و«سنن الترمذي» (٣٥٤٠).

خامساً

هدايات من القرآن

هدايات سورة الفاتحة[١]

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ١-٧].

سورة الحمد من قصار السور ولكنها أم الكتاب، وأعظم سورة في القرآن، فعن أبي سعيد بن المُعلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ قال له: «**أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ؟!**». فذهب النبي ﷺ ليخرج من المسجد، قال: فذكَّرته، فقال: «**الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ. هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»[٢].

---

(١) اختصرت الكلام عن هذه السور من «في ظلال القرآن» لسيد قطب، و«نحو تفسير موضوعيٍّ لسور القرآن» لمحمّد الغزالي.

(٢) «صحيح البخاري» (٤٧٠٣).

وقد تضمنت هذه السورة خلاصة وجيزة لعقائد الإسلام، وعهداً وثيقا بين الناس وربهم يحقق رسالتهم في الوجود، ورجاءً في الله أن يَهدي الطريق، ويَمنح التوفيق، ويُنعِم بالرضا...

والبدء باسم الله هو الأدب الذي أوحاه الله لنبيه ﷺ في أول ما نزل من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].. وهو الذي يتفق مع الإيمان بأنّ الله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد: ٣].. فهو –سبحانه– الموجود الحق الذي يستمد منه كلُّ موجود وجودَه، فباسمه إذن يكون كل ابتداء.

وعقب البدء بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» يجيء التوجه إلى الله بالحمد، ووصفه بالربوبية المطلقة للعالمين: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]..

والحمد لله هو الشعور الذي يفيض به قلب المؤمن بمجرد ذكره لله.. فإن وجوده ابتداء ليس إلا فيضاً من فيوضات النعمة الإلهية التي تستجيش الحمد والثناء. وفي كل لمحة وفي كل لحظة تتوالى آلاء الله، وتغمر خلائقه كلها وبخاصة هذا الإنسان.. ومن ثم كان الحمد لله ابتداء، وكان الحمد لله ختاماً: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠].

أما شطر الآية الأخير: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فالرب هو المالك المتصرف.

و﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ سيد العوالم كلها، من السماء إلى الأرض، من الحيوان إلى النبات، من الملائكة إلى البشر، والعالم هو كلّ ما عدا الله عَزَّوَجَلَّ، وكلّ ما عدا الله فهو مَرْبوبٌ له فقير إليه.

فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم.

والرّب هو الخالق وهو المدبّر والمصرّف لجميع الخلائق، فإنه سبحانه لم يخلق الكون ثم يتركه هملاً. إنما هو يتصرف فيه ويدبّره ويرعاه ويربيه. وكل العوالم والخلائق تُحفظ وتُتعهد برعاية الله رب العالمين.

والصلة بين الخالق والخلائق دائمة ممتدة قائمة في كل وقت وفي كل حالة.

وبهذا تبدو العقيدة الإسلامية رحمة حقيقية للقلب والعقل، رحمة بما فيها من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجاوب مع الفطرة مباشر عميق.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.. هذه الصفة التي تستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها، وصفة «**الرحمن**» صيغة مبالغة، تدل على عظمة الرحمة وسَعَتها، وصفة «**الرّحيم**» صيغة مبالغة تدلّ على دوام هذه الرحمة واستمرارها.

والرحمة هي السمة البارزة في تلك الربوبية الشاملة، الصلة الدائمة بين الخالق ومخلوقاته.. صلة الرحمة والرعاية التي تستجيش الحمد والثناء. فالحمد هو الاستجابة الفطرية للرحمة الندية.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.. وهذه تمثل الكلية الضخمة العميقة التأثير في الحياة البشرية كلها، كلية الاعتقاد بالآخرة.. ويوم الدين هو يوم الجزاء في الآخرة، والله هو مالك الدنيا كلِّها، والآخرة كلِّها، ولكن الله ذكر ملكه ليوم الدين لأنه اليوم الذي تزول فيه كل أنواع الملك المؤقتة في الدنيا، ويوافي الناس ربَّهم عرايا من كل ما تملّكوه في الدّنيا؛ ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡ﴾ [الأنعام: ٩٤]، ولا يبقى ملك إلا للملك الحقّ؛ ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.. وهذه هي الكلية الاعتقادية التي تنشأ عن الكليات السابقة في السورة، فلا عبادة إلا لله، ولا استعانة إلا بالله.

وهذه الكلية تعلن التحرر البشري الكامل الشامل. التحرر من عبودية الأوهام، وعبودية الأصنام، وعبودية الطواغيت. وإذا كان الله وحده هو الذي يُعبد، والله وحده هو الذي يُستعان، فقد تخلص الضمير البشري من استذلال جميع أنواع العبوديّات لغير الله عَزَّوَجَلَّ..

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾..

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.. وفقنا إلى معرفة الطريق المستقيم الواصل، ووفقنا للاستقامة عليه بعد معرفته، فالمعرفة والاستقامة كلتاهما ثمرة لهداية الله ورعايته ورحمته، والتوجه إلى الله في هذا الأمر هو ثمرة الاعتقاد بأنه وحده المعين، وهذا الأمر هو أعظم وأول ما يطلب المؤمن من ربه العون فيه. فالهداية إلى الطريق المستقيم هي ضمان السعادة في الدنيا والآخرة عن يقين..

وهذا الدعاء: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ كأنه محور السورة، فما قبله ينتهي إليه، وما بعده يبتدئ به، فأوّل السورة حمدٌ لله، وثناءٌ عليه، وتمجيدٌ له، وتوسلٌ إليه بتوحيده، ثمّ يأتي هذا الدعاء: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾، وما بعده بيان لحقيقة الصراط، وأعظم أنواع الانحراف عنه، فكأنّما سورة الفاتحة سورة الهداية والاستهداء.

إنّ هؤلاء الذين سلكوا الصّراط المستقيم إنّما سلكوه بإنعام الله عليهم بالهداية والإعانة، ولولا هداية الله ومعونته لم يهتدوا إليه، ولم يسيروا فيه، ولذا فنحن نسأل الرّبّ الذي هداهم أن يُنعِم علينا بالهداية كما أنعم عليهم.

وهذا هو الطريق المستقيم، لا طريق الذين غضب عليهم لمعرفتهم الحق ثم حيدتهم عنه. أو الذين ضلوا عن الحق فلم يهتدوا إليه..

وهذا يبيّن أن الاستقامة علم وعمل، وعبادة على بصيرة، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وأنّ الانحراف يكون بالإخلال بواحد منهما، فمَن علم ولم يعمل استحقّ غضب الله، ومَنْ عمِل بلا عِلمٍ تخبّط في متاهة الضّلال، وصار من الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا وهم يحسبون أنّهم يُحسِنون صُنعاً.

ومن استقام اهتدى إلى الله؛ ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

وهذا الصّراط المستقيم هو الذي ينتهي بسالكيه إلى نزلهم في الجنّة، ولذا فإنّ أهل الجنّة إذا تبوّأوا منازلهم فيها تذكّروا بامتنانٍ هداية الله التي صحبتهم حتى أوصلتهم، فقالوا باغتباطٍ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ونحن نكرر الدعاء لأنفسنا، كما نكرر غسل أعضائنا؛ لأن أسباب هذا التكرار قائمة، فَرُعُونات النفس ووساوس الشيطان لا تنتهي، فلا بد من تكرار الدعاء، واستدامة التضرع.

وهكذا في سطور قلائل تم تصوير العلاقة الوحيدة الممكنة بين الناس ورب الناس، وهي الاعتراف به، والثناء عليه، والاستعداد للقائه، والتعهد بعبوديته، ثم الرجاء إليه أن يجعلنا كما يحبّ.

وبعد: فهذه هي السورة المختارة للتكرار في كل صلاة، وفيها على قصرها تلك الكليات الأساسية في التصور الإسلامي، ومن فضلها ما

أخبر به النبي ﷺ عنها، قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**». فإذا قال العبدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قَالَ الله تعالى: «**حَمِدَنِي عَبْدِي**». وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: «**أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي**». وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾، قَالَ: «**مَجَّدَنِي عَبْدِي**». فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قال: «**هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**». فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾، قَالَ: «**هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»[1].

(١) «صحيح مسلم» (٣٩٥).

هدايات قرآنية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢ * قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦١-٢٦٤].

﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢-٣٣].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٥٤ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤-٥٦].

﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النحل: ٩٠-٩١].

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء: ١٥].

﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٧٠].

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ [الحج: ١-٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرٗا﴾ [الإسراء: ١١١].

هدايات نبوية

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ، كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»[(١)].

٢- عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[(٢)].

٣- عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عرفت أن وجهه

(١) «صحيح مسلم» (٢٦٦٤).

(٢) «مسند أحمد» (٢١٣٥٤)، و«سنن الترمذي» (١٩٨٧).

ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء تكلم به أن قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»(١).

٤- عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»(٢).

٥- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ. وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلجَةِ**»(٣).

٦- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**»، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ**»(٤).

٧- عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَبْرِ**»(٥).

---

(١) «سنن الترمذي» (١٨٥٥).
(٢) «صحيح مسلم» (٢٥٧٨).
(٣) «صحيح البخاري» (٣٩).
(٤) «صحيح مسلم» (٢١٦٢).
(٥) «صحيح البخاري» (١٤٦٩)، و«صحيح مسلم» (١٠٥٣).

٨- عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللهُ»(١).

٩- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»(٢).

١٠- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثاً، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ، قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ»(٣).

١١- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»(٤).

١٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَاناً، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا، -وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ-، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(٥).

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٣٧٦)، و«صحيح مسلم» (٢٣١٩).
(٢) «صحيح البخاري» (٥٩٨٦)، و«صحيح مسلم» (٢٥٥٧).
(٣) «صحيح مسلم» (١٧١٥).
(٤) «صحيح مسلم» (٢٦٢٦).
(٥) «صحيح مسلم» (٢٥٦٤).

١٣- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقاً، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّاباً»(١).

١٤- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ»(٢).

١٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»(٣).

١٦- عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»(٤).

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٠٩٤)، و«صحيح مسلم» (٢٦٠٧).
(٢) «سنن أبي داود» (٤٧٩٩)، و«سنن الترمذي» (٢٠٠٣).
(٣) «صحيح مسلم» (٢٧٢٠).
(٤) «صحيح البخاري» (٦٠١١)، و«صحيح مسلم» (٢٥٨٦).

١٧- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَصْمُتْ**»[١].

(١) «صحيح البخاري» (٦٠١٨)، و«صحيح مسلم» (٤٧).

في الختام

ينبغي لِمَن هداه الله إلى الإسلام:

١- أنْ يَتعرّف على دينه، ويجتهد في معرفة أحكامه ومقاصدها، ويبذل ما يستطيعه في سبيل ذلك: قراءةً ودراسةً ومجالسةً لِمن لديه علْم صحيح عن الإسلام.

٢- وإذا اكتشف في نفسه اللياقة أن يكون عالماً مِن علماء الإسلام، ووجد الإمكانات المساعدة لذلك فهذا طموح محمود، فالإسلام دينٌ يَفتح الباب لأتباعه الأصليين والجُدد؛ ليَتَرقّوا في مختلف علومه؛ إذ ليس هناك عِلْمٌ خاصّ بالمسلمين الأصليين دون المسلمين الجدد، وتاريخ الإسلام شاهدٌ بهذه الحقيقة.

٣- وأنْ يَعلم أنّ الإسلام ليس مجرّد معرفة أو معلومات، وإنما هو منهجٌ إلهيّ للحياة، مطلوبٌ مِن كل مسلمٍ ومسلمة تطبيقه في حياته؛ ليكون المسلم مسلماً قولاً وعملاً.

ومما يعينك في ذلك:

أ. إحاطة نفسك بصحبة صالحة تعينك على الخير، والانتظام في أداء ما يمكنك من الصلوات في مسجد قريب منك إن أمكنك ذلك.

ب. التواصل مع المسلمين في المساجد والمراكز الإسلامية، ومن خلال مواقع التواصل الاجتماعي، والقنوات الإسلامية الناطقة بلغتك؛ لتحتفظ بحيويتك، وتتمكن من معرفة المزيد عن الإسلام، وتشارك إخوانك وتستفيد من تجاربهم. ونقترح عليك الاستعانة برأي أصدقائك الثقات. لأن الفضاء الإعلامي مملوء بالغَثّ والسمين، والجيّد والرديء.

ج. قراءة القرآن الكريم بترجمة صحيحة بلغتك، والوقوف مع الآيات الواضحة في دلالتها، كآيات التعظيم لله والثناء عليه، وقصص الأنبياء، وما يأمر به من كريم الأخلاق، وما يحذر عنه من المحرمات.

د. تثبيت العبادات من الصلوات المستحبة والأذكار وقراءة القرآن والصدقة في برنامجك اليومي، والاستمرار عليها بالقدر الذي تطيقه وتستطيع الاستمرار عليه، وقد قال ﷺ: «**أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ**»[1].

(١) «صحيح مسلم» (٢٨١٨).

هـ. أن تتوقف عن التفكير السلبي، مثل الاستغراق في الندم على ماضيك قبل الإسلام، أو ذنوبك السابقة قبل الهداية. فهذا النوع من التفكير يُعِيقُك عن العمل الإيجابي.. توقّف.. انظر إلى الأمام.. وامنح عهدك الجديد وقتك وجهدك، فهذه أفضل وسيلة عَمَليّة للتعويض عما فات.

و. لا تشتّت بين أمور كثيرة من أعمال الخير فتَرْتَبِك وتحتار وتفقد تركيزك مما يجعلك تضيع أجمل فترات الهداية وتذوق نعيمها، وإنما عليك التوجه إلى ما تحسنه من أعمال الخير وما يلائم طبيعتك وإمكاناتك وقد قال ﷺ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِن**»[(١)].

ز. المحافظة على صلتك الخاصة بالله وذلك بالمحافظة على الصلوات حسب ما تعلمت وما تحسن، وكثرة ذكر الله ودعائه، واعلم أنه لن يتخلى عنك وأنت مقبل عليه.

وأودعكم أخي وأختي وأخبركم أننا نحبّكم، ونحس بأخوّتكم وقربكم، وندعو الله لكم بالنجاح في حياتكم، والثبات على الإسلام، وأن نلتقي وإياكم غداً في الآخرة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢٣٧٨)، و«سنن ابن ماجه» (٢٧٧).

اللهم صَلِّ وسلّم على سيدنا محمد خاتم أنبيائك ورسلك وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى سائر إخوانه أنبيائك ورسلك، والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم

عبد الوهاب سليمان أوغلو

وبعد الختام فإنه يسرني -أخي القارئ أختي القارئة- تفاعلُكم مع ما قرأتموه، وتلقي أي ملاحظة أو وجهة نظر، ومراسلتي بها على البريد والواتساب.

abdsuleymanoglu@gmail.com

00905467723779

كما يمكنك إهداء الكتاب إلى أصدقائك الناطقين بالإنكليزية والفرنسية و.. على هذا الرابط:

فهرس الموضوعات

مقدمة ٥
أولاً: إيماننا ٩
حياةٌ طيبة ١١
العلم بالله ١٥
العبادة لله وحده ٢١
رسل الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ٢٤
محبة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ٢٦
الدين قناعات عقلية ومشاعر قلبية ٣٠
لا ظُلمَ اليوم ٣٣
نظرة المؤمن إلى الآخرة ٣٧
ثانياً: إسلامنا ٤١
أسئلة الإسلام ٤٣
نعمة الهداية ٤٩
الثبات على الإيمان ٥٢
عالمية الإسلام ٥٤
إسلامك وعلاقاتك ٥٧
إسلامك مسؤولية ٥٩
التعريف بالإسلام ٦٠
الرجل والمرأة ٦٣
الدين يسر ٦٥
المحافظة على نجاحاتك ٦٧

حُسن الخلق ٧٠
مَن يمثِّل الإسلام؟ ٧٤
دين المسلمين وواقعهم ٧٧
ثالثاً: عباداتنا ٧٩
عبادتنا حياتنا ٨١
فضل الصلاة ٨٥
سكينة الصلاة ٨٧
ذِكْرُ الله ٩٠
الدعاء عبادة ٩٣
القرآن الكريم ٩٥
رابعاً: خطايانا ٩٩
التعثر بالأخطاء ١٠١
الخطايا المصاحِبة ١٠٣
هل ورثنا الخطيئة؟ ١٠٥
خطايانا قبل الهداية ١٠٦
الرحمة الإلهية ١٠٩
مغفرة الذنوب ١١١
خامساً: هدايات من القرآن ١١٣
هدايات سورة الفاتحة ١١٥
هدايات قرآنية ١٢٢
هدايات نبوية ١٢٧
في الختام ١٣٢

TO

BROTHER & SISTER

Letters Guiding To a Good Life

إلـى أخي وأختي ..

هـذه رسـائل مختصـرة لبعـض معالـم الديـن الهاديـة، والـتي بمعرفتها تتضح رسـالة الحياة، ويجـد كل باحـث عـن المعنـى معنىً

وسـوف تتضـح أمامـه الرؤيـة، فيعـرف طريقـة ومسـار حياتـه، ومهمتـه فيهـا، ووظيفتـه ومسـؤوليته وإنجـازه فـي عمـره، وتُكشـف لـه أسـتار الغيـب عمّا بعـد الحيـاة، ومصيـر الخلـود الأبـديّ، وإنمـا يجيـب علـى أسـئلة الحيـاة مـن وهـب الحيـاة، الـذي أعطـى كل شيء خلقه ثم هدى.

عبد الوهــاب سليمان أوغلو